مباهج احتفالية إحياء ليلة المولد النبوي الشريف في المغرب والأندلس

نصوص مقتبسة من مخطوطات مغربية

تأليف

أ.د. محمد بشير حسن راضي العامري

جامعة بغداد

دار الكتب العلمية

Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

DKI

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان

Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

مباهج احتفالية
إحياء ليلة
المولد النبوي الشريف
في المغرب والأندلس

نصوص مقتبسة من مخطوطات مغربية

تأليف

أ. د. محمد بشير حسن راضي العامري

جامعة بغداد

دار الكتب العلمية

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

DKI

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان

Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon

Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

الكتاب: مباهج احتفاليّة

Title: MABĀHIJ IḤTIFĀLIYYA

التصنيف: تاريخ – شمائل محمّديّة

Classification: History - Prophetic Virtues

المؤلف: أ. د. محمد بشير حسن راضي العامري

Author: Prof. Dr. Mohammed Bashir Hasan Radhi Al-Amery

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-ilmiyah - Beirut

Pages	160	عدد الصفحات
Size	17 x 24 cm	قياس الصفحات
Year	2021 A.D. - 1443 H.	سنة الطباعة
Printed in	Lebanon	بلد الطباعة لبنان
Edition	1st	الطبعة الأولى

http://www.al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

sales@al-ilmiyah.com

جميع الحقوق محفوظة

2021 A. D. - 1443 H.

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun

1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN 978-2-7451-8393-4

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾

[الأنبياء: 107]

الإهـداء

إلى خاتم المرسلين صاحب الذكرى العطرة
الرسول الأعظم محمد ﷺ.
وبمناسبة مولده الشريف ١٤٣٦هـ.

إلى صحبه الكرام وآل بيته الأطهار.
إلى كل من أحب محمدًا ﷺ وسار على نهجه.
إلى كل من أحبنا في الله وأحببناه.
نهدي لهم جميعًا هذا الجهد، عسى الله
أن يجعلنا من شفعاء المصطفى ﷺ.

المؤلف: أ. د محمد بشير حسن راضي العامري،
بغداد 1436هـ ـ 2014م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الصلاة والسلام على نبينا الكريم وآله وصحبه أجمعين أفضل الصلوات والتسليم.

ولادة الرسول الكريم هي إطلالة مشرقة في قلوب الأمة العربية الإسلامية في 12 ربيع الأول من عام الفيل (571م) إذ ولد من أبوين فقيرين في مالهما، غنيين في جاههما وحسبهما، وقد مات أبوه قبل أن يولد فكفله جده عبد المطلب من أشراف قريش، فلما مات كفله عمّه أبو طالب من سادات مكة، وعهد في إرضاعه الى امرأة بدويةٍ تسمى حليمة السعدية كما جرت عادة الأشراف من قريش، فنشأ الطفل الميمون في جو البادية وهوائها النقي واللغة العربية الفصيحة والهدوء النفسي، وقد توفيت آمنة وهو في السادسة من عمره.

اعتاد نبينا العظيم محمد (ﷺ) أن يخرج مع أخويه من الرضاع في رعاية الغنم وهو طفل في البادية وكان لهذا العمل أثر نافع في نفسه من الرأفة والرحمة ولين القلب والكرم والشجاعة والذكاء والإلفة من الصفات الحميدة، ثم اشتغل بالتجارة إلى الشام، إذ ذهب مع عمه أبي طالب إلى بصرى وهو في الثانية عشرة من عمره، وهناك لمح فيه راهب اسمه (بحيرا) علامات النبوة بعد أن سأله عن أمور في نومه ويقظته، ورأى في بدنه علامات النبوة على ما جاء في كتب النصارى، وقد سافر الرسول الكريم (ﷺ) وهو في الخامسة والعشرين مع ميسرة غلام السيدة خديجة بنت خويلد الأسدي فربحت التجارة، وأخبر راهب اسمه نسطور الرسول بأنه سيكون نبيا وقد اتسعت معرفته وتجربته بما شاهد من أحوال بلاد الشام وطرق التعامل وأخلاق الناس ومظاهر الحياة في البيئة الرومانية، كما وقف على أساليب الناس في البيع والشراء بما كان له أعظم الأثر في التشريعات بعد الرسالة السماوية.

وقد أدى اشتغاله بالتجارة، وما عرف عنه من الصدق والأمانة اللتين كانتا شعارًا له منذ صغره، إلى معرفته بالسيدة خديجة بنت خويلد، وهي سيدة شريفة موسرة، فأنفذته في تجارة لها إلى الشام، فربحت تجارتها ضعف ما كانت تربح من قبل فضاعفت له الأجر، وارتضته زوجا لها وهو في الخامسة والعشرين وكانت أرملة في الأربعين، وقالت له : يا ابن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك وسلطانك في قومك، وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك (ابن إسحاق، ص 120) وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصداق فعلي، (ابن هشام / ج 1/ 3، ج 2 / 206).

ويقول ابن إسحاق (ص 120) في خديجة : (وكانت أول من آمن بالله ورسوله، وصدّقت بما جاء به فخفف بذلك عن نبيه (ﷺ) لايسمع شيئا مما يكرهه، من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك، إلا فرج الله عنه بها إذا رجع اليها، تثبّته وتخفّف عنه، وتهوّن عليه أمر الناس).

بلغ الرسول الكريم (ﷺ) الخامسة والثلاثين وجددت قريش بناء الكعبة لتصدع جدرانها، إذ كان الرسول الأمين (ﷺ) ينقل الحجارة مع القرشيين، وقد اختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود مكانه، ثم اتفقوا على أن يحكموا أول داخل من باب شيبة ويعرف في الجاهلية بباب عبد شمس ويقال له الآن باب السلام،فكان الرسول أول من دخل منه فقالوا : هذا هو الأمين رضيناه حكمًا، وأخبروه الخبر، فبسط رداءه ووضع الحجر فيه وقال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب فرفعوه حتى انتهوا إلى موضعه، فأخذه الرسول (ﷺ) ووضعه في مكانه، وبذلك راضاهم جميعًا بذكائه وإيمانه برجاحة عقله بالتسامح والتواضع والمؤاخاة.

وكان الرسول الكريم (ﷺ) على خلق عظيم، وقد اشتهر بين قومه بالمروءة والوفاء بالعهد وحسن الجوار والحلم، والعفة والتواضع والجود والشجاعة والصدق والأمانة حتى سمّوه الأمين، وكان يكره عبادة الأوثان، فلم يحضر مواسم الحج، وكان لايشرب الخمر ولايأكل مما يذبح على النصب، وهي حجارة تنصب عليها دماء الذبائح وتعبد، ولايحضر مجالس اللهو والسهر والعبث والقمار.

إحياء ذكرى ليلة المولد النبوي الشريف تدفع إلى زرع القيم السماوية وروح التسامح والمحبة بين الأديان والمذاهب والمعتقدات البشرية، لأن الرسول الكريم (ﷺ) بعث رحمة للعدل والتساوي والمؤاخاة والاحترام والمصاهرة والعمل من أجل خدمة الإنسانية، ويمثل أُنموذجا للعدالة والمحبة، والمحامي والمدافع عن المظلومين والقصاص من الظالمين والفجار والفسقة والسراق والدجالين والمرتشين.

نستذكر الولادة العطرة والميمونة للرسول الكريم (ﷺ) لتجديد العهد في السير على خطى قائدنا نحمي الضعفاء ونساعد الفقراء والمحتاجين، ونحقق مبدأ حبّ لأخيك كما تحبّ لنفسك،وحماية المجتمع الإسلامي من التمزق والفقر والدجل والطائفية المنبوذة بالتشريع الإسلامي، نسعى للحصول على العلم النافع كما أكدت عليه الأحاديث الشريفة: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**»، «**اطلب العلم ولو كان في الصين**» ونستلهم من علم وحكمة نبينا الوفي للعبادة قوله: «**أنا مدينة العلم وعلي بابها ومن أراد العلم فليدخله من بابه**»، «**العلم نور والجهل ظلام**».

نأمل أن نقدم ما ينفع ديننا الإسلامي الحنيف صدقة جارية في خدمة الجيل، وأن يتبعوا خطى سيرة الرسول الكريم (ﷺ) قولًا وفعلًا، وأن نزرع الحب والاحترام والتعاون والتسامح والحرية بالعبادة، والسعي إلى إحياء السنة المحمدية الإنسانية، ونبتعد عن ما يؤذي الناس، ونحن خير أمة أخرجت للناس في الصفاء للقلوب والرحمة والاقتداء بطريق الخير للصحابة والتابعين.

اللهم تقبل منا العمل الصالح النافع المتسامح، نرجو رضاك وعفوك، وأن تمنّ علينا بالصحة والأمان والاستقرار والعافية للمتقين نحن عبادك إلى يوم الدين.

المؤلف الباحث

أ.د. محمد بشير حسن راضي العامري

بغداد ١٢ ربيع الأول 1436هـ

الفصل الأول
مراسيم احتفال أهل المغرب بالمولد النبوي الشريف

المبحث الأول
أهمية إقامة ليلة المولد النبوي الشريف في الغرب الإسلامي

يفخر المسلم بمولد نبيه المصطفى خاتم الأنبياء والمرسلين (ﷺ) الذي اختاره الله تعالى لعباده الصالحين للاقتداء بسيرته الطاهرة، وأخلاقه الحميدة بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القَلَم: 4]، يعدّ سيدنا وحبيبنا الرسول الكريم (ﷺ) مثالًا للإنسانية جمعاء والأديان كافة قدوة للعالمين، بقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾ [الأحزاب: 21].

يعتز الإسلام بمولد البشير النذير الذي بعثه الله تعالى «رسولا من أنفسهم، عربًا وعجمًا، وأزكاهم محتدًا ومنمّى، وأرجحهم عقلًا وحلمًا، وأوفرهم علمًا وفهمًا وأقواهم يقينًا وعزمًا، وأشدهم بهم رأفة ورحمةً، فتح به أعينًا عميًا، وقلوبًا غلفًا، وآذنا صمًّا، فآمن به وعزّره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسمًا، وكذب به وصدف عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتمًا»[1].

اهتم الفقهاء المالكية بالمغرب والأندلس بتدوين القصائد الشعرية عن المولد النبوي الشريف، وتقديم التهاني للعالم الإسلامي وللحكام من أمراء وخلفاء وولاة وسلاطين من نظمهم وأقلامهم، وقد طرزت كتب التاريخ والفقه والأحكام بالأبيات الجميلة الراقية المعاني والبلاغة والجذور العطرة في حب أبي القاسم محمد بن عبد الله (ﷺ) إذ «أشرق الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين

---

(1) القاضي عياض اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت 544هـ)، كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ﷺ)، تحقيق: نواف الجراح، دار صادر (بيروت 1427هـ/ 2006م)، ص12.

ولطف لي ولك بما لطف به لأوليائه المتقين، الذين شرفهم الله بنزل قدسية، وأوحشهم من الخليقة بأسه، وخصهم من معرفة ومشاهدة عجائب ملكوته، وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حيرة، وولّه عقولهم في عظمته حيرة فجعلوا همّهم به واحدًا، ولم يروا في الدارين غيره مشاهدًا، فهُمْ بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون، وبين آثار قدرته، وعجائب عظمته يترددون، وبالانقطاع إليه والتوكل عليه يتعززون، لهجين بصادق قوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾﴾ [الأنعَام: 91])[1].

يستحق الرسول الكريم (ﷺ) إحياء ولادته بالوسائل والطرق والمسائل وعمل الموائد للفقراء والمحتاجين وأهل السبيل بالجانب الشرعي، وتكون المناسبة استذكارًا ودرسًا وعبرة يقتدي بها أحباب الدين الإسلامي، وينعم الناس كافة بالفرح والبهجة والسرور ونسيان الأحقاد والضغائن والمشاكل، وتنعش قلوب المؤمنين بالذكرى العطرة على نفوسهم.

اعتاد أهل المغرب والأندلس إقامة الحفلات في الأعياد والمناسبات الدينية والاهتمام بمراسيمها، وإغداق الأموال الطائلة في عمل الموائد التي تعرض فيها أصناف الطعام والمعجنات والحلوى أكثر مما كان يحدث عند أهل المشرق الإسلامي، ويعزى ذلك إلى أن أهل الأندلس يجاورون إخوانهم النصارى، إذ يقطن عددٌ كبيرٌ منهم في المجتمع الأندلسي، لذا أرادوا التفاخر والمباهاة أمام عامة أهل الذمة الذين كانوا بدورهم يعظمون ويهتمون بأعيادهم الدينية مثل مناسبة ولادة السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، وتطلق على أعيادهم كرسمس نبيداد حسب تقويمهم الإفرنجي الخامس والعشرين من كانون الأول من كل عام وتعرف الليلة بالعظيمة، وليلة آخر السنة الميلادية بليلة العجوز كونها نهاية العام[2].

---

(1) القاضي عياض، الشفاء، ص13.

(2) العامري، محمد بشير حسن، مراسيم المولد النبوي في الأندلس والمغرب، مقالة نشرت في مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد الثاني (بغداد عام 2000م، الصفحات: 149-190).

اهتم المؤرخون الأندلسيون في تصنيف المؤلفات عن المولد النبوي الشريف منها:

1- مخطوط: (كتاب التنوير في مولد السراج المنير)، لابن دحية الكلبي البلنسي (حياته 544-633هـ/ 1149- 1235م).

2- مخطوط: (الدر المنظم في مولد النبي المعظم) للفقيه أبي القاسم العزفي السبتي (ت677هـ/ 1279م) صنفه والده أبو العباس أحمد العزفي (حياته 557-622هـ/ 1162-1236م) مخطوط خزانة الإسكوريال بضواحي مدريد، ويقع في 109 ورقة وتحتوي كل ورقة 29 سطرًا، بخط مغربي جميل وواضح،نسخة منه مصورة عن الأصل عند الباحث أ. د. محمد بشيرحسن العامري، سنعتمد على نصوصه.

3- مخطوط: (كتاب جنى الجنتين في شرف الليلتين) للفقيه ابن مرزوق التلمساني، محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق التلمساني (710-781هـ/ 1310-1379م) مخطوط خزانة الإسكوريال بضواحي مدريد/ إسبانيا.

أما المؤلفات المشرقية عن المولد النبوي الشريف ومنها:

1- (عرف التعريف بالمولد الشريف) / لابن الجوزي.

2- (حسن المقصود في عمل المولد) للولي الأسيوطي.

كما تحدثت المؤلفات التاريخية عن احتفالات المولد النبوي في فصول ومباحث فضلًا عن المؤلفات الفقهية التي تحدثت عن السيرة النبوية وأوضحت عن أهمية المولد الشريف في نفوس المسلمين. ازداد تعظيم المولد النبوي الشريف وإحياء الاحتفال بليلة المولد النبوي بين أهل الصلاح والورع فصار يحتفل بمولده في المشرق نحو عام 300هـ.

تحدث القلقشندي عن أحداث ليلة المولد النبوي في الخلافة الفاطمية في مصر والمغرب، وما كان يعمل فيها من الموائد والترتيبات، حيث يتم العرض المهيب ويحضر السلطان شخصيًا لمشاركة الناس، بقوله: (وكان عادتهم فيه أن يعمل في دار الفطرة عشرون قنطارًا من السكر الفائق حلوى من طرائف

الأصناف، وتَعبَّأُ في ثلاثمائة صينية نحاس، فإذا كان ليلة ذلك المولد، تغرق في أرباب الرسوم، كقاضي القضاة وداعي الدعاة، وقراء الحضرة والخطباء والمتصدرين بالجوامع بالقاهرة ومصر وقومة المشاهد وغيرهم من له اسم ثابت بالديوان، ويجلس الخليفة في قنطرة قريبة من الأرض مقابل الدار القطبية الذكر، ثم يركب القاضي بعد العصر ومعه الشهود إلى الجامع مقدار قراءة الختمة الكريمة ويسد الطريق تحت القصر من جهة السيوفين وسويقة أمير الجيوش، ويكنس ما بين ذلك ويرش بالماء رشًّا، ويرش تحت المنظرة بالرمل الأصفر ويقف صاحب الباب ووالي القاهرة على رأس الطرق لمنع المارة، ثم يستدعي القاضي ومن معه فيحضرون ويترجلون على القرب من المنظرة ويجتمعون تحتها وهم متشوقون لانتظار ظهور الخليفة، فيفتح إحدى طاقات المنظرة فيظهر فيها وجهه ثم يخرج أحد الأستاذين المحنكين يده ويشير بكمّه بأن الخليفة يرد عليكم السلام، ويقرأ القرّاء ويخطب الخطباء كما تقدم في ليالي الوقود[1]، فإذا انتهت خطابة الخطباء أخرج الأستاذ يده مشيرًا بردّ السلام كما تقدم، ثم تنغلق الطاقتان وينصرف الناس إلى بيوتهم)[2].

تطرقت المصادر الأندلسية عن مراسيم الاحتفال في ليلة المولد النبوي الشريف وتحدثت عما كان يعمل فيها من الموائد لتقديم الطعام للناس، فيذكر الفقيه الباديسي نقلًا عن شهود عيان عن عمل مائدة طعام للفقراء بقوله: «لما استقر الشيخ عبد الملك المؤذن بمدينة سبتة حرسها الله تعالى، صار يصنع ليلة المولد طعامًا للفقراء يأكلونه، وكان طعامه الكعك والعسل، ويحضر تلك الليلة

(1) يرجع أصل الاحتفال بليالي الوقود إلى زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي كان يصيح في أهل مكة ليوقدوا النار ليلة هلال المحرم، حتى يوضحوا الطريق لحجاج بيت الله، وكان أهل مكة يوقدون في ليلة هلال رجب، ينظر: المقريزي (الخطط، طبعة بولاق 1853 ج1/ 466).
كما كان يخرج موكب رجال الدين، وبين أيديهم الشموع المنيرة إلى المنظرة التي يجلس فيها الخليفة الفاطمي، ليستمع إلى خطب أئمة جوامع القاهرة عن فضائل المحرم ورجب وشعبان.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، طبعة دار الكتب ـ 1419هـ ـ 1913م (القاهرة د.ت) ج3/ 576. وينظر المقريزي، (الخطط، ج/ 1 467).

الفقراء والمحبون يعمل فيها السماع»[1].

تعد مدينة سبتة ceuta في طرق العدوة المغربية على سواحل البحر المتوسط الرائدة في إحياء الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بفضل الفقيه أبي العباس العزفي صاحب المولد النبوي وأولاده أبو القاسم العزفي وغيره، ويعود الشرف لعائلة العزفي السبتي، ومن ثم عمل الاحتفال شمال المغرب الإسلامي كله الذين يعتنقون المذهب المالكي (ت790هـ)[2] عن احتفال الأندلسيين والمغاربة ليلة المولد النبوي الشريف في الوصية الخاصة بإقامة المولد الشريف في المسألة الأولى بقوله: (وهي الوصية بالثلث ليوقف على إقامة ليلة المولد النبوي (ﷺ)، فمعلوم أن إقامة المولد على الوصف المعهود بين الناس بدعة محدثة، وكل بدعة ضلالة، فالإنفاق على إقامة البدعة لا يجوز والوصية به غير نافذة، بل يجب على القاضي قسمة وردّ الثلث إلى الورثة يقتسمونه فيما بينهم، وأبعد الله الفقراء الذين يطلبونه إنفاذ مثل هذه الوصية)[3].

ومما ورد في حق ليلة المولد الشريف ما ذكره أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني في مخطوطته الموسومة (جنى الجنتين في شرف الليلتين). وقد اخترنا مقتطفات منها لنغني هذا المؤلف بعد التعريف به: من روائع المخطوطات المغربية الأندلسية في مكتبة الخزانة العامة بالرباط ويحمل الرقم K10228 ويضم 146 ورقة وكل ورقة تحتوي على 19 سطرًا دونت بخط مغربي واضح وجميل وقد ورد اسم المخطوط في المصادر الأندلسية والمغربية أحيانًا بعنوان «جنى الجنتين في فضل الليلتين».

---

(1) الباديسي، عبد الحق بن إسماعيل، المقصد الشريف والمنزع الشريف في التعريف بعلماء الريف، ص1000.

(2) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي، صحابي جليل شهد المغازي كلها مع الرسول (ﷺ)، صاحب مذهب مالك ينسب إليه المالكية، انتشر مذهبه بالحجاز والبصرة وبأفريقيا والمغرب والأندلس ومصر، الموطأ، للإمام مالك بن أنس (93هـ- 179هـ) تحقيق وشرح نواف الجراح، دار صادر، ط1، (بيروت 1425هـ ـ 2004م).

(3) الشاطبي الأندلسي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، فتاوى الإمام الشاطبي، ص202، ترجمة رقم 50.

ومؤلف المخطوط من مشاهير علماء المغرب والأندلس ولد في تلمسان عام (710هـ/ 1310م أو 711هـ/ 1311-1312م)، وبعدها أخذ يرافق والده أحمد ابن مرزوق في رحلاته منها: رحلته إلى المشرق لغرض أداء فريضة الحج، وقد زار بها المدن الإسلامية الكبرى والْتقى بعدد كبير من علمائها مثل المدينة المنورة ومكة المكرمة وبيت المقدس والإسكندرية والقاهرة، وقد استقر في الإسكندرية وتولى بها مشيخة المسجد.

وبعد سنوات قصيرة عاد ابن مرزوق إلى وطنه المغرب، وأثناء عودته التقى بعدد كبير من العلماء والفقهاء، وصارت له صلة وتعاون في مجال العلوم، حيث ساعدته الرحلة على الاطّلاع والتعرف في مجال العلوم، حيث ساعدته الرحلة على الاطّلاع والتعرف والاستفادة أكثر من المشاهير. وبدأ يقارن في الأفضلية بين ليلة القدر وليلة المولد.

ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها، وليلة المولد شرفت بظهور النبي (ﷺ) فيها ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الأصح، فتكون ليلة/ (الورقة 100) المولد أفضل من هذا الوجه وهو المطلوب.

الأفضلية عبارة عن فضل زائد في الأفضل، والليلتان معًا اشتركتا في الفضل فتنزل الملائكة فيها معًا حسب ما سبق مع زيادة ظهور خير الخلق (ﷺ) في ليلة المولد، ففضلت من هذا الوجه على القولين جميعًا في المفاضلة بين الملائكة والأنبياء عليهم السلام.

ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة عليهم الصلاة والسلام وانتقالهم من الملاك الأعلى إلى الأرض، وليلة المولد شرفت بوجوده (ﷺ) وظهوره وما شرفت بالوجود والظهور أشرف مما شرف بالانتقال.

ليلة القدر فضلت باعتبار عمل العامل فيها، فأنت إذا قدّرت أهل الأرض كلهم عاملين فيها فلا يلحقون قدر من شرفت به ليلة المولد، ولا يلحقون عمله في لحظة وإن كان في غيرها فثبتت أفضلية ليلة المولد بهذا الاعتبار.

شرفت ليلة القدر بكونها موهبة لأمة محمد (ﷺ) عناية به عليه السلام، وشرفت ليلة المولد بوجوده من وهبت ليلة القدر لأمته (ﷺ) اعتبارًا به فكانت أفضل.

ليلة القدر وقع التفضّل فيها على أمة محمد (ﷺ)، وليلة المولد الشريف وقع التفضّل فيها على سائر الموجودات عند الذي بعثه الله ﷻ رحمة للعالمين فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107] فعمت به النعمة على جميع الخلائق فكانت ليلة المولد/ (الورقة 101) أعم نفعًا بهذا للاعتبار فكانت أشرف وهو المطلوب.

ليلة المولد فضلت عن غيرها من ليالي السنة بولادته (ﷺ) فإنك تقول فيها ليلة مولد محمد (ﷺ) وتقول في ليلة القدر، وهو إما الشرف وإما التقدير والإضافة في ليلة المولد إضافة اختصاص وهي أبلغ من الإضافة إلى مطلق الشرف فكانت أفضل بهذا الوجه وهو المطلوب.

ليلة القدر إما ليلة الشرف أو ليلة التقدير، فهي وإن كان التقدير فيها من لوازمها شرفها باعتبارها ليلة المولد ليلة شرف عام لا أمرًا فيه فيثبت فضل ليلة المولد وهو المطلوب.

ليلة القدر إنما يحظى بها العامل فيها منفعتها قاصرة، وليلة المولد متعدية منفعتها وما كانت منفعته متعدية أفضل من غيره وهو المدعى.

ليلة القدر في فضلها ثبتت ما قدمناه إلا أنه عرض فيها ما عرض من اختلاف في البقاء والرفع واو الضعف، وليلة مولده (ﷺ) شرفها بأولها سأذكرها بعد إن شاء الله تعالى فكانت أفضل بهذا الاعتبار.

المدعى أن ليلة المولد أفضل ويدل بأن نقول الزمان شرّف بولادته (ﷺ) وإضافته إليه واختص بذلك فبيّن أهل الأزمنة قياسًا على أفضلية البقعة التي اختصت به، ويحل عليه الصلاة والسلام من أطباقها على سائر الأمكنة وقد فضّلوها إجماعًا فليكن الزمن من الذي اختص بولادته (ﷺ) أفضل/ (الورقة 802) الأزمان بهذا الاعتبار.

ليلة القدر فرع ظهور (ﷺ) والفرع لا يقوى قوة الأصل ففضّلت ليلة المولد بهذا الاعتبار وهو المطلوب.

ليلة المولد حصل فيها من الفيض الإلهي النوراني ما عم الوجود ووجوده مقارن لوجوده (ﷺ) ولم يقع ذلك إلا فيها فوجب فضلها على غيرها وهو المدعى.

ليلة المولد أظهر الله فيها سر وجوده (ﷺ) التي ارتبطت السعادات الأخروية

على الأطراف وأتحفت الحقائق وتميز به الحق من الباطل، وظهر ما أظهره الله تعالى في الوجود من أنوار السعادة وسبيل الرشد، وافترق به فريق الجنة من فريق السعير، وتميز وعدّ به الدين وأصبح الكفر وهو الحقير إلى غير ذلك وأسرار وجود الله ﷻ في مخلوقاته وما عبّر الوجود من آياته ولم يثبت في ذلك في ليلة من ليالي الزمان فوجب بذلك تفضيلها بهذا الاعتبار وهو المطلوب.

وهو تنويع في الاستدلال وإن كان معنى ما تقدم وهو أنّا نقول: لو لم تكن ليلة المولد أفضل من ليلة القدر للزم أحد أمور ثلاثة وهي: إما تفضيل الملائكة على النبي (ﷺ)، أو العمل المضاعف، أو التسوية وكلها ممتنع. أما الأول، جعل الصحيح المرتض. وأما الثاني والثالث، فاتفاق وبيان الملازمة أن التفضيل في الأول حصل بولادته (ﷺ) وفي الثانية/ (الورقة 102) إما بنزول الملائكة أو العمل.

بعض زمن ليلة المولد الشريف هو زمن ولادته (ﷺ) وكل زمن ولادته (ﷺ) أفضل الأزمنة، فبعض ليلة المولد أفضل الأزمنة وإذا فضل بعضها على سائر الأزمنة فضلت ليلة القدر بهذا الاعتبار.

أفضل الأزمنة زمن ولادته (ﷺ) ولا شيء من زمن ولادته (ﷺ) بليلة القدر فلا شيء من أفضل الأزمنة بليلة القدر، وينعكس على قولنا لا شيء من ليلة القدر بأفضل الأزمنة وهذا إبطال المدعو الخصم.

المقام الثاني: فيما أكثر وروده على الأدلة التي استدللت بها وما أكثر الاستدلال على خلاف ما صرت إليه.

النوع الأول: وفيه أبحاث: اعلم أن الليلة التي ولد فيها رسول الله (ﷺ) بعينها لا ينبغي أن يختلف في تفضيلها على كل ليلة من الليالي على الإطلاق باعتبار الواقع فيها، إنما الكلام في تفضيل ما وافقها من ليالي السنة وهذا هو الذي ينظر فيه مع ليلة القدر، فإن قلت: دل الدليل على أن ما تختص به ليلة القدر موجود في كل سنة على القول المشهور من بقائها وعدم رفعها، ولم يثبت في ليلة المولد بوجوب اعتبارها في كل سنة فوجب تفضيل ليلة القدر، قلت: دل الدليل على مراعاة ظلها باعتبارها تكرر زمنها حسب ما رويناه في صريح الصحيح/ (الورقة 104) وهو ما حدثنا به شيخنا الإمام شمس الدين ابن الفراح (ناصر) الدين إبراهيم بن مضر الواسطي وأبو الكنى منصور بن عبد المنعم البرواي والإمام أبو عبد الله محمد

ابن الفضل الصاعدي الفراوي والإمام عبد الغافر الفارسي وأبو أحمد الجلودي وإبراهيم بن سفيان الفقيه ومسلم وزهير بن حرب وعبد الرحمن بن مهدي ومهدي ابن ميمون عن غيلان عن عبد الله بن معبد عن أبي قتادة أن رسول الله (ﷺ) سئل عن صوم الاثنين فقال: «**فيه ولدت وفيه أنزل عليَّ**»، أخرجه مسلم، وفي طريق: «**وفيه بعثت أو أُنزل عليَّ فيه**»، ورويناه في سنن النسائي من طريق ابن الأحمر وهي الطريق التي انفرد بها المغاربة على حسب ما قررناه في برنامج المرويات وفي كتاب «عجالة المستوفر المستجاز في ذكر من سمع دون من أجازنا لمغرب ومصر والشام والحجاز» وخرّجه من طريق قتادة أو أخرجه العزفي وغيره، فليراجع. فقلت: ثبت بهذا الحديث استمرار أفضلية ليلة المولد وصبيحتها، فشرفها باقٍ ورعاية زمنها ثابت، إذ لا نزاع في صحة الحديث ولا يرد عليه شيء من الاستدلالات الواردة على المتون مما تقرر عند الأئمة وأهل النظر، فالحاصل في ليلة القدر حاصل فيها مع قربة عدم الاختلاف الموجود في ليلة القدر وهذا لله المنّة دليل على ما ذهبنا إليه والمنّة لله ﷻ، فإن قلت ليلة القدر اختصت بأعمال لم توجد في ليلة المولد/ (الورقة 105) وذلك يدل على كونها أفضل وأشرف، قلت: الأعمال التي اختصت بها ليلة القدر فإن كانت شريفة مشرفة إلا أن ما اختصت به ليلة المولد المشرف أعم نفعًا، فإن ثمرة العمل في ليلة القدر إنما تعود بالنفع على العامل فقط دون غيره وليلة المولد يعود نفعها على كل الخلائق كما سبق. فإن قلت ليلة القدر أنزل فيها القرآن إلى السماء الدنيا ونجم نزوله بعد على النبي (ﷺ) بحسب الوقائع وتقرير الأحكام وهو معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ [القَدر: 1]، فوجب تفضيلها على غيرها، قلت: أما كلام الله تعالى القديم فلا يوصف بالنزول ولا يوصف بالاستقرار وإنما استقرار الألواح بمعنى المشتملة على الألفاظ الدالة على المتعين القديم التي نزل بها الروح على سيد المرسلين صلوات الله عليه وعليهم وقد نزلت مفصلة على النبي (ﷺ) واستقرت بين دفتي المصحف متلوة لنا ولله الفضل والمنة، فالموهبة فيها كانت لنبينا محمد (ﷺ) من حيث إنها من جملة ما أنعم به ﵇ لا لأجل الليلة بعينها فكانت ليلة المولد المكرم أشرف بهذا الاعتبار فإن قلت: ليلة القدر شرفت باعتبارات منها: أنها في رمضان ومنها: نزل

القرآن فيها إلى السماء الدنيا كما تقرر ومنها: تنزل الملائكة عليهم السلام إلى الأرض للسلام على أهل الإيمان.

قلت: وكلها من خصائص النبي (ﷺ)/ (الورقة 106) وأمته فهو أصل المواهب وصلب فيض الخيرات والرغائب. فإن قلت: ليلة القدر تنزل فيها الملائكة للسلام على كل مؤمن ومؤمنة حسب ما جاء ذلك في بعض الأخبار وهذه مزية عظيمة لا اختلاف فيها وخصوصية كبيرة لم تحصل في ليلة المولد فكانت أشرف.

قلت: الثابت من ذلك كله ما نص عليه الكتاب في محكم الذكر هو «نزول الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام» وما جاء من الاختلاف في السلام بل هو بمعنى أضحية أو السلامة أو غير ذلك مما أوردناه في فضله عن أئمة التفسير، فتقدم موضحًا، وأما ما ذكره من غير ذلك مما أورده المفسرون غيرهم من نزولهم على صور مختلفة وبابوية مختلفة من كوزة في مواضع بتحية مخصوصة فليست أحاديثها بالمعتدة الصحة في الاستدلال كما سبق فلم يبق الآن ولها عليها السلام ليلة القدر، وذلك لا ينبغي نزول الملائكة ليلة المولد لمثل ذلك والله أعلم وأيضًا، فإن اختصاص ليلة القدر بنزول الملائكة عليهم السلام هو لسلامهم على القائمين بها والعاملين فيها كما جاء ذلك صريحًا في الأخبار المشار إليها وذلك لا يوجب أفضلية ليلة المولد، إذ لا يمتنع اختصاص المفضول بخاصية لا توجد في الأفضل كما في كثير من الأزمنة والأمكنة والأعمال، فإن قلت قد جاء أن: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة**»، وهو ثابت في الصحيح فدل على أن يوم الجمعة أفضل الأزمان ليفضل ليلة المولد قلت/ (الورقة 107) هذا السؤال مشترك الإلزام ونسبي وبيّن مراد عن غير ما ادعيتم لي أن التبرع فأقول الجواب عنه من أوجه:

الأول: أن الكلام في الليلة لا في اليوم ولا يلزم من كونه أفضل الأيام وأن تكون أفضل الليالي.

الثاني: أن موجب أفضلية نبينا محمد (ﷺ) وهو ولادة آدم فيه عليه السلام وقبول توبته وهبوطه إلى الأرض وقيام الساعة فيه فالمراد بالخيرية وجود مثل الأشياء ووقوعها فيه وأنها لم توجد إلا فيه وأنت له.

أنظرت إلى هذه الأمور وخبرتها وجدت نور رسول الله (ﷺ) فانظر إليها فهو سر وجود آدم وبالتوسل به إلى ربه قبلت توبته وقيام الساعة رحمة لأمته لئلا يطول مقامهم ولبثهم تحت الأرض حسبما جاءت بذلك الأخبار الثابتة المأثورة عنه (ﷺ).

الثالث: أنه العيد الذي اختصت به هذه الأمة من أيام الجمعة كاختصاص اليهود بالسبت والنصارى بالأحد فهو من المواهب والرغائب التي منحها رسول الله (ﷺ) فيعود من القول فيه إلى ما قدمناه في ليلة القدر فاندفع السؤال وإن كان غير وارد والله أعلم.

فإن قلت: ويرد عليك يوم عرفة فقد جاء فيه ما رويناه في الصحيح عنه (ﷺ): «**ما رُئي الشيطان يومًا هو فيه أحقر ولا أدحر ولا أغيظ منه في يوم عرفة وذلك لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عزوجل عن الذنوب العظام**»، الحديث بكماله فدل على أنه أفضل الأزمان فيكون أفضل من ليلة المولد قلت/ (الورقة 108) الجواب عنه من وجهين:

الأول: ما تقدم جوابًا أن الكلام في الليلة لا في اليوم.

الثاني: أنه من المواهب والرغائب المنعم بها عليه وعلى أمته صلوات الله وسلامه عليه كما تقدم قبله.

وقد تقدم الاستدلال غير مرة بهذا على أن ليلة المولد أشرف وأيضًا، فإنه إنما أراد أفضليتها على سائر الليالي لما اختصت به من العمل فهي أفضل الليالي التي تكثر فيها المشوبات وتتضاعف فيها الأعمال، ولهذا/ (الورقة 109) حل بهذا الكلام ما ورد فيها وفي تعينها ونحن لا ننازع فيما اختصت به من العمل وإنما الكلام في شرفها على ليلة المولد من قطع النظر عن العمل ولا دليل يدل على ذلك.

فإن قلت: هذه مسألة اجتهادية وشروط الاجتهاد مغلوبة في القصد أو في الأكثر مراحله.

قلت: قد قدمنا أنها ليست باجتهادية بمعنى أن المقصود من البحث فيها استنباط الحكم، بل الغرض أحجية أحد الطرفين لينظر فيما سلمناه لكن لم أقل

إن الاجتهاد لا يتجزأ بل المختار عند المحققين تجزئته والمسألة معروفة عند أهل الأصول.

فإن قلت: الاجتهاد فيها قد يؤدي إلى الخطأ فإنها ليست بمنصوبة على ما تقدم والخطأ في مثل هذا يؤدي إلى التأثيم. قلت: المقصود في كتب أهل الأصول عندهم أن كل مجتهد في المسائل التي لا نص فيها مصيب خلافًا لمن قال إذا ذهب واحد فيها على ما هو المعروف والخلاف فيها منصوص عن تلك.

سمعت شيخنا الإمام أبا موسى ابن الإمام رحمة الله عليه وغيره من مشيخة المغرب يحثون فيما أخذ في ليالي المولد في المغرب وما وضعه العزفي في ذلك واختاره وتبعه فيه ولده الفقيه أبو القاسم ومعه من الأئمة فاستصوبوه واستحسنوا مقاصده والقيام بها، وقد كان فعل عن بعض علماء المغرب إنكاره والأظهر في ذلك عندما قاله بعض الفضلاء من علماء المغرب أيضًا وقد وقع الكلام في ذلك فقال: معناه لا شك أن المسلك الذي سلكه العزفي مسلك حتمي إلا أن المشتغل في هذه الليلة بالصلاة على النبي (ﷺ) والقيام بإحياء (الورقة 113) سنته ومعونته إليه، ومساهمتهم وتعظيم حرمتهم، والاستكثار من الصدقة وأعمال البر، وإغاثة الملهوف وفك العاني ونصرة المظلوم، وهو أفضل مما سوى ذلك مما أجد إذ لا يبخلوا من مزاحم في النائبة أو مفسد للعمل أو دخول الشهرة وطريق الحق والسلامة معروف، ولا أفضل في هذه الليلة مما ذكرناه من أعمال البر أو الاستكثار من الصلاة على النبي (ﷺ) ليحظى المستكثر فيها ببعض ما ورد في فضلها.

فقد روينا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله (ﷺ): «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا ولا تجعلوا قبري عيدًا وصلّوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنت**» أخرجه أبو داود.

قالوا: لو معنى قوله عليه الصلاة والسلام «عيدًا» أي: لا تجعلوا قبري غير مقصود إلا في الندرة، كما يقصد العيد في العام مرتين بمعناه الحث على الاستكثار من زيارة قبره (ﷺ).

وقوله: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا**» أي: لا تتركوا الصلاة في بيوتكم حتى تكون كالقبور التي لا يصلى فيها.

(الورقة 115).. ويذكّر ما خص به عليه الصلاة والسلام من الصفات الجميلة والأخلاق العظيمة والسير الكريمة، ويتذكر ما وقع في تلك الليلة من الآيات البينات والمعجزات المعجبات، ويستحضر حمد الله ﷻ ونشكره الذي لا نفي بنقطة من بحر شكره على ما هداه إليه من الإسلام وجعله من أمته عليه الصلاة والسلام، ويستغفر الله ﷻ في تقصيره في أدلة ما وظفه عليه وتشطبه عن المسارعة لتحصيل ما ندبه إليه، فيجتمع بين الحمد والشكر والصلاة على النبي (ﷺ) والاستغفار ويختم بالدعاء بما يعود عليه من مصالح الدنيا والآخرة فلعله ببركة تلك الليلة الكريمة أن يتقبل دعاءه لا حرمنا الله من خيره ورحمته بفضله.

استنتاجات

اهتم الفقيه ابن مرزوق التلمساني في تأليفه لكتابه «جنى الجنتين في شرف الليلتين» وذلك بمراجعة الكتب الإسلامية التي صنفت عن المولد النبوي الشريف في المشرق والمغرب الإسلامي، ومن تلك المصادر الأندلسية التي نسخت عن المولد النبوي الشريف مثل كتاب «الدر المنظم في مولد النبي المعظم» لأبي القاسم العزفي اللخمي السبتي الأندلسي (ت677هـ/ 1279م) حيث صنف هذا الكتاب لأول مرة الفقيه الشيخ أبو العباس أحمد رقيانه (ت577هـ/ 633م/ 1162-1236م) وبعد وفاته أكمله ابنه أبو القاسم العزفي وهو مخطوط في مكتبة دير الإسكوريال بمدريد، عملنا عنه بحثًا بعنوان «مراسيم المولد النبوي الشريف في الأندلس والمغرب».

كما استفاد ابن مرزوق من مؤلفات ابن الخطيب الغرناطي في كتابه «الإحاطة» ويحدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي (ت790هـ) في كتابه «فتاوى الإمام الشاطبي» عن الوصية لإقامة المولد الشريف في الأندلس والمغرب وقد استفاد من ابن مرزوق، أما الونشريسي (أحمد بن يحيى ت914هـ/ 1508م) في كتابه «المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب» فقد نقل نصوصًا كاملة من مخطوط «جنى الجنتين» بالإضافة إلى كتاب «الدر المنظم» للعزفي عن إقامة المولد النبوي وليلة القدر الشريفة والعظيمة في الإسلام.

وقد ألف ابن دحية الكلبي البلنسي (ت633هـ/ 1235م) ألف كتابًا عن

المولد النبوي الشريف عنوانه «التنوير في مولد السراج المنير» وهو مخطوط في المكتبة الوطنية بباريس ويحمل الرقم 10476، كما صنف المؤرخ المشرقي ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن ت597هـ/ 1201م) كتابًا عن ليلة المولد الشريف أسماه «مولد الجوزي الشهير بالعروس».

وهناك معلومات كثيرة عن ليلة المولد النبوي الشريف في كتب الفقه والتاريخ بالإضافة إلى ما ذكر عن ليلة القدر المباركة، لا بدّ وأنه اطلع عليه ابن مرزوق في تأليفه «جنى الجنتين في شرف الليلتين».

❋ ❋ ❋

المبحث الثاني
آراء الفقهاء المغاربة في إحياء ليلة المولد الشريف

أوضح لنا الفقيه الونشريسي على أنه لا يجوز الصيام في ليلة المولد النبوي الشريف مؤكدًا أن هذا اليوم يوم فرح وسرور، وأنكر ذلك الفقيه ابن عباد عندما استدعي إلى مائدة طعام عملت بمناسبة ليلة المولد النبوي الشريف، فاعتذر أحد الحاضرين عن تناول الطعام قائلًا لابن عباد، إنه صائم، فأجابه ابن عباد: بأنه لا يستحسن الصيام في مثل هذا اليوم المبارك؛ لأنه عيد من أعياد المسلمين، والذي يعبر عنه بالبهجة والفرح والصلاة والدعاء بالخير والبركة على الأمة الإسلامية والاقتداء بالمثل العليا والأخلاق الفاضلة، والعطف على الفقراء بدعوتهم لتناول الطعام إكرامًا وتقديرًا لهذه المناسبة وإعزازًا بسيرة الرسول الكريم (ﷺ)، وحثه على مساعدة الفقراء واليتامى والمساكين من المسلمين.

تحتل الأحاديث النبوية الشريفة أهمية ومكانة في احتفالية المولد النبوي الشريف في المغرب والأندلس ومنهاجًا وتطبيقًا، لأنها المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، والحاجة الماسة إليها في تفسير ومعالجة الحالات الفقهية في العبادات والمعاملات والممارسات في إحياء ليلة المولد، ويعود اهتمام أهل الأندلس والمغرب بإقامة شعائر المولد النبوي لتخليد الذكرى العطرة على نفوس المسلمين، ولا سيما عند دخول عدد من الصحابة والتابعين عند الفتح برفقة الجيش الإسلامي منهم: حنش بن عبد الله الصنعاني، ومعاوية بن صالح الحضرمي «ومن فضائل الأندلس أنها لا يذكر على منابرها أحد من السلف إلا بخير، وهي ثغر من ثغور المسلمين لمجاورتهم الروم، واتصال بلادهم ببلادهم، وإنما قيل لها بلاد جزيرة الأندلس؛ لأن البحر محيط بجميع جهاتها إلا ما كان مكان الروم فيه من جهة الشمال منها، فأهلها البحر والروم، وقد بشر النبي (ﷺ)

بظهور الإسلام فيها وثباته إلى قيام الساعة مع زيادة أعداد الروم، وإنّ بلادهم تزيد على بلاد الإسلام أضعافًا مضاعفة»[1].

تحدّث مؤرخ الأندلس عبد الملك بن حبيب السلمي الأندلسي (ت238هـ) عن التابعين الداخلين إلى الأندلس نقلًا عن رواية تقول: «قال ابن ربيعة: غل الناس كلهم يومئذ إلا أربعة نفر فقط كانوا من التابعين، أبو عبد الرحمن الحبلي وابن شماسة وحنش الصنعاني وعياض بن عقبة الفهري»[2].

أفرد عبد الملك بن حبيب بابًا عن الطبقة الثالثة بعد التابعين من أهل الأندلس بقوله: «كان لأهل الأندلس بعد التابعين رجال أهل فقه وعلم وحلم ومروءة صالحة، وفضل بين ظاهر، لم يكونوا بدون غيرهم من أهل طبقة زمانهم منهم: زياد بن عبد الرحمن اللخمي، ويحيى بن مضر القيسي، ومحمد بن سعيد السبائي، وقرعوس بن عباس الثقفي، ويحيى بن يحيى الليثي، وحسين بن عاصم الثقفي وعيسى بن دينار الغافقي، وإسماعيل بن البشر التجيبي، وحارث بن أبي سعد الأموي، ومحمد بن عيسى المعروف بالأعشى، ومن أهل الحديث: غازي بن قيس وصعصعة بن سلام، وعامر بن أبي جعفر، وعبد الرحمن بن موسى رحمهم الله جميعا»[3].

أكد المقري دخول التابعين إلى الأندلس نقلًا عن رواية: «وزعم ابن حبيب: أنه دخل الأندلس رجل واحد من أصاغر الصحابة وهو المنيذر قال: ودخلها من التابعين ثلاثة: موسى الأمير، وعلي بن رباح اللخمي، وحيوة بن رجاء التميمي وقيل: إن ثالثهم إنما هو حنش بن عبد الله الصنعاني، صفاء الشام، وأنهم قفلوا عنها بقفول موسى، وأهل سرقسطة يزعمون أن حنشًا مات عندهم ولم يقفل

---

(1) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، ط2 (1430هـ/ 2009م)، ص62.

(2) عبد الملك بن حبيب السلمي الأندلسي (ت238هـ)، كتاب التاريخ، وضع حواشيه: سالم مصطفى البدري، نشر دار الكتب العلمية، ط1 (بيروت 1420هـ- 1999م)، ص128.

(3) المصدر نفسه، ص161.

المشرق وقبره لديهم مشهور يتبركون به ولا يختلفون فيه والله أعلم[1].

وقد ترجم المقري للتابعين وسيرتهم وأهميتهم في حثّ الناس بالجهاد وإسهاماتهم في تثقيف الناس على السيرة النبوية، وكان وجودهم في الأندلس مفخرة وعطاء وشرف وله تأثير كبير في تلقين الجند قيم الإسلام والاقتداء بسيرة سيدنا الكريم (ﷺ) نذكر منهم:

1 - «حنش الصنعاني المذكور، تابعي جليل كان مع علي رضي الله عنه بالكوفة وقدم مصر بعد قتله فصار عداده في المصريين، وكان فيمن قام مع ابن الزبير على عبد الملك بن مروان فعفا عنه، وكفى الأندلس شرفًا دخول لها»[2].

وذكر ابن يونس عن حنش أنه كان إذا فرغ من عشائه وحوائجه وأراد الصلاة من الليل أوقد المصباح وقرب المصحف وإناء فيه ماء، فإذا وجد النعاس استنشق الماء، وإذا تعايا في آية نظر في المصحف...)[3].

2 - «وعلي بن رباح بصري تابعي يكنى أبا عبد الله وهو لخمي ولد عام اليرموك سنة خمس عشرة، قال ابن معين: أهل مصر يقولونه بفتح العين وأهل العراق يقولونه بضمها، وروى الليث عن ابنه موسى بن علي وكانت لعلي بن رباح عند عبد العزيز بن مروان مكانة، وهو الذي زف ابنته أم البنين لزوجها الوليد، ثم عتب عبد العزيز فأغزاه أفريقية»[4].

3 - «وأما المنيذر الصحابي فلم ينسبه ابن حبيب، وذكره ابن عبد البر في الصحابة وقال: إنه المنيذر الأفريقي، وروى عنه أبو عبد الرحمن الحبلي، قال: حدثنا المنيذر الأفريقي وكان يسكن أفريقية، وكان من أصحاب رسول الله (ﷺ)، أنه سمعه (ﷺ) يقول: «من قال: رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد (ﷺ) نبيًا»[5].

4 - أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافري، من التابعين الداخلين «قال

---

(1) المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، نشر دار صادر، ط5 (بيروت 1429هـ-2008م)، ج1/ 277-278.

(2) المقري، نفح الطيب، ج1/ 278. (3) المصدر نفسه، ج2/ 7.

(4) المقري، نفح الطيب، ج1/ 278-279، ج3/ 8.

(5) المصدر السابق.

ابن بشكوال: إنه يروي عن أبي أيوب الأنصاري وعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم وغيرهم، وروى عنه جماعة، وذكر البخاري في تاريخه الكبير أنه يعد من المصريين. ذكر ابن يونس في تاريخ المغرب أنه توفي بأفريقية سنة مائة، وكان رجلًا صالحًا فاضلًا، رحمه الله تعالى ويذكر أهل قرطبة أنه توفي بقرطبة، وأنه دفن بقبليها، وقبره مشهور يتبرك به»[1].

5- حبان بن أبي جبلة، من التابعين، ذكره ابن بشكوال «أنه مولى قريش، ويكنى أبا النضر، وذكره أبو العرب محمد بن تميم في تاريخ أفريقية. فقال: حدثني فرات بن محمد أن عمر بن عبد العزيز أرسل عشرة من التابعين يفقّهون أهل أفريقية منهم حبان بن أبي جبلة، روى عن عمرو بن العاص وعبد الله بن عباس وابن عمر، رضي الله تعالى عنهم، ويقال: توفي بأفريقية سنة 122هـ، وقيل 125هـ»[2].

6- المغيرة بن أبي بردة نشيط بن كنانة العذري، من التابعين الداخلين إلى الأندلس «روى عن أبي هريرة ﷺ، فروى عنه مالك في موطئه، وذكره البخاري في تاريخه الكبير، وفي كتاب الحافظ ابن بشكوال أنه دخل الأندلس مع موسى ابن نصير فكان موسى بن نصير يخرجه على العساكر»[3].

7- حيوة بن رجاء التميمي، من التابعين الداخلين، ذكره عبد الملك بن حبيب أنه دخل الأندلس مع موسى بن نصير وأصحابه، وأنه من جملة التابعين، رضي الله تعالى عنهم، قاله ابن بشكوال في مجموعة التراجم في مجموعة المترجم بـ «التنبيه والتعيين لمن دخل الأندلس من التابعين»[4].

8- عياض بن عقبة الفهري، يعد من خيار التابعين الداخلين إلى الأندلس، «ذكره ابن حبيب في الأربعة الذين حضروا غنائم الأندلس، ولم يغلوا»[5].

9- عبد الله بن شماسة الفهري، من التابعين الداخلين، ذكره ابن بشكوال أنه مصري، وأن البخاري ذكره في تاريخه[6].

10- عبد الجبار بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، من

(1) المقري، نفح الطيب، ج2/ 9.
(2) المقري، نفح الطيب، ج2/ 9.
(3) المصدر السابق، ج2/ 10.
(4) المصدر السابق نفسه.
(5) المصدر السابق نفسه.
(6) المقري، نفح الطيب، ج2/ 10.

التابعين الداخلين «جدّه عبد الرحمن أحد العشرة رضي الله تعالى عنهم، وهو ممن ذكره ابن بشكوال في الأربعة من التابعين الذين لم يغلوا»[1].

11- منصور بن حزامة، من التابعين الداخلين «قال ابن بشكوال: قرأت في كتاب روايات الشيخ أبي عبد الله ابن عابد الرواية رحمه الله تعالى قال: وممن دخل الأندلس من المعمرين ما وجدت بخط المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الناصر رضي الله تعالى عنه في بعض كتبه المختزنة أنه قال: طرأ علينا رجل أسود من ناحية السودان في سنة 329هـ، فذكر أنه منصور بن حزامة مولى رسول الله (ﷺ). وكان يزعم أنه أدرك أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأنه كان مراهقًا...»[2].

التابعون الداخلون ساهموا في إحياء السنة والسيرة من خلال المجالس وتوجيه النصائح وتفسير الأحاديث النبوية، وزادوا من إيمان أهل الأندلس في حماية الإسلام ونجاح الفتح وحث الناس على المشاركة في الحملات الجهادية وتوضيح الشهادة في سبيل الله ودخول الجنة، وحل مشاكل المجتمع وتحليل الجوانب الاقتصادية من خلال الفتاوى عن أمور تطرح لإيجاد الحل الشرعي حسب المذهب الأوزاعي ثم صار المالكي الذي اعتنقه أهل الأندلس وكتابه «الموطأ».

صنف أئمة الفقه الكتب الدينية لتوعية أهل الأندلس عن معاني الإسلام وأهدافه، ومنهم الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (ت399هـ) وكتابه «قدوة الغازي» وفيه أبواب ومباحث وفصول أورد فيها الأحاديث النبوية الشريفة منها باب من ينبغي للغازي أن يلتزمه من محاسن الأخلاق، وله أهمية في أعمال وأفعال الناس وما ورد من الأحاديث الشريفة: «**ما اصطحب قوم في سبيل الله إلا كان أعظمهم أجرًا وأحسنهم خلقًا وإن كان غيره أحسن اجتهادًا منه**». وقال أبو هريرة: «وأفضل الغزاة خادمهم وراعي دوابهم» وفي كتاب عبد الملك ابن حبيب، «اجتمع أهل العلم على كراهية المسألة للغازي غنيًّا كان أو فقيرًا، إن كان غنيًّا فليغزو بما له، وإن كان فقيرًا فليجلس في بيته فلم يكلفه ما لا يطيق»[3].

الأحاديث الشريفة الواردة أسندها المحقق، ولها ربط بمعاني إحياء ليلة

---

(1) المقري، نفح الطيب، ج2/ 10. (2) المصدر السابق نفسه.

(3) ابن أبي زمنين الألبيري، كتاب قدوة الغازي، تحقيق: عائشة السليماني، نشر دار الغرب الإسلامي (بيروت 1989م)، ص154.

المولد النبوي عند الاحتفال إكرامًا للولادة وشرفها في نفوس المسلمين حسب نية المشارك بالغرض للاحتفال لكسب الأجرة. ولا بد أن نعرف عن إقامة شعائر إحياء ليلة المولد النبوي الشريف في الأندلس والمغرب من خلال عائلة العزفي السبتي التي أول من اهتمت بإقامة الاحتفال بالمولد المنير، وللعزفي فضل كبير وأثرًا معروفًا بفضل ثقافتهم وخبرتهم وسمعتهم وإمكانياتهم المادية وهم من وجهاء مدينة سبتة، وقد أشادت المصادر الأندلسية بالعزفي وأبنائه، إذ كان ميسورًا معظمًا ومحبوبًا ومحترمًا، إذ كان أهل سبتة يعظمونه غاية التعظيم من جلة الفقهاء والأعلام بعد إقامة الاحتفال بالمولد البشير زادت محبته ومجدت مآثره في نصب الموائد المتعددة وألوان الطعام والإحسان إلى الفقراء، وإقامة الصلوات والذكر وقراءة القرآن وإنشاد المقامات الصوفية والأشعار الدينية.

صنّف العزفي كتابًا خاصًّا عن المولد النبوي الشريف أسماه «الدّر المنظم في مولد النبي المعظم» بذل عليه وقتًا وأورد فيه كتبًا ومسائل شرعية، وبه توجيهات وتوصيات وانتقادات ومسائل فقهية وأحاديث شريفة وأخبارًا عن تصرفات بعض العوائل الأندلسية في المشاركة بمولد نبينا عيسى ابن مريم عليه السلام والبدع والمخالفة للشريعة الإسلامية، اقتبس العزفي من كتب الفقه مسائل تؤكد تحريم المخالطة بأعياد النصارى وممارسة طقوس تخالف الشريعة الإسلامية، وإقامة الموائد وشجرة الميلاد مثلما يفعله إخوانهم النصارى وجيرانهم، ووضع حدًّا لتصرفاتهم وتصحيح أخطائهم، فكان للكتاب المخطوط فائدة دينية واسعة وأثرًا كبيرًا على العوائل التي لا تعرف بأن أعمالهم خاطئة في أعياد الميلاد المسيحية، فله الفضل في إنقاذ المجتمع الأندلسي من المحافظة على العادات والتقاليد الإسلامية، وإحياء ليلة المولد بالطريقة الإسلامية المالكية، ويمكن اقتباس نصوص من المخطوط «الدر المنظم في مولد النبي المعظم» للعزفي هي:

نص[1]: «... وانظروا إلى ما جرى على أهل هذا الزمن الغيبة عن مجالس العلماء والمزاحمة بالركب لأهل التقوى، وعصابة الهدى حاملي السنن القائمين

(1) مخطوط مكتبة (خزانة) دير الإسكوريال في ضواحي مدريد El Escorial! يقع في 109 ورقة وتحتوي كل ورقة على 29 سطرًا، بخط مغربي جميل وواضح ولدنيا نسخة أصلية مصورة، وسنعتمد في نقل النصوص منه، وله نسخ أخرى في المتحف البريطاني، ونسخة في مكتبة الدراسات العربية في مدريد تحت الرقم الإفرنجيX. ومكتبة مسجد الياني في تركيا.

بالحق لا يضرهم من خالفهم مع تمسكهم بمناهج السلف الأحبة والسنن، ولا تعتروا بما ينسب إلى العلم وقد اتبع في طاعة النسوان والصبيان هواه قصده ذلك عن أن يكونوا قوّامين بالقسط ولواه، والله تعالى يتداركنا بتوبة نصوحة تلحقنا برداءة تقواه.

وإن تعجب أيها الناصح لنفسه تعجب من إحصائهم لتواريخهم والاعتناء بمواقيتها، فيكثروا ما يتساءلون عن ميلاد عيسى على نبينا وعليه السلام والاعتناء، ومن ينير سابع ولادته، وعن العنصرة، ميلاد يحيى على نبينا و‌عليه السلام (ورقة 2 إسكوريال) فما أغناهم التوفيق، ولا القرين المرشد ولا الرفيق، أن يكون سؤالهم عن ميلاد نبيهم محمد (ﷺ) خيرة الله من خلقه، وذلك من شكر نعم الله علينا بعض واجبه وحقه، هاديهم من ضلالتهم ومرشدهم من غيهم بالعزيز عليه عنتهم بالحرص على هديهم الشديد على ضلالتهم أو فتنتهم، الرؤوف الرحيم، شفيعهم الذي ضوعف لهم به ثواب محسنهم وتجاوز عن مسيئهم بل جماهير عامتهم ودهمائهم، بل الذين يدعونهم بطلبتهم وعلمائهم لا يعرفونه ولا يتعرفون (ورقة 84 بـ نسخة المكتبة العربية)، بل يقنعون بأنه عندهم في كتبهم ويكتفون، والحمد لله.

قد انتهى اليوم إلى العذراء في خدرها، والحرة المصونة في سترها، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من يحيا عن بينة بقيام حجتها وانقطاع عددها، والله يعيذها من الفتن ويقينا غوائل شرها، آمين.

قال المؤلف رضي الله عنه: وأضافوا للتخفي عنها بالسؤال والمحافظة عليها والإقبال، من بدع وشنع ابتدعوها، وسنن واضحة أضاعوها بموائد نصبوها لأبنائهم ونسائهم وضعوها وتخيروا فيها أصناف الفواكه وأصناف الطرق وجمعوها وتهادوا فيها بالتحف التي انتخبوها، والمدائن التي صوروا فيها الصور واخترعوها، ونصب ذوو اليسار نصبات في الديار، كما نصب أهل الحوانيت فنضّدوها، فقوم أباحوا أكلها لعيالهم وقوم منعوها، وجلوها كالعروس لا تغل دونها الأبواب، وفي منصتها رفعوها، وبعضهم أكل من أطرافها، ثم باعوها.

ولقد ذكر لنا غير واحد من المسافرين أن النصبة ببعض بلاد الأندلس، جبرها الله وأمنها، يبلغ ثمنها سبعين دينارًا أو يزيد على السبعين، لما فيها من مناظر السكر وأرباع الفانيد وأنواع الفواكه، ومن غرائر التمر ما عدال الزبيب

والتين على اختلاف أنواعها وأصنافها وألوانها، وضروب ذوات القشور من الجوز واللوز والحلوى والقسطل والبلوط والصنوبر إلى قصب السكر ورائع الأترج والنارنج واليم، وفي بعض البلاد طاجن من مالح الحيتان ينفقون فيه ثلاثين درهمًا، أو نحوها، وقد شاهدت في بعض الأعوام سدّ الحوانيت ممن لا يبيع ما يحتاجون إليه كسوق القيسارية والعطارين وغيرهما من الأسواق، وفي ذلك لضعفائهم من الدلالين وغيرهم قطع المعايش وتعذر الأرزاق، ويطلقون الصبيان من المكاتب ويشرفون بذلك قلوبهم حب البدع والرواتب، فهذه أفعالنا؟ فهل منا من تائب لائم لنفسه معاتب؟

وكان هذا في النيروز، ثم وضعوا نحوًا منه في العنصرة وفي الميلاد، فكيف ينشأ على هذه الفتنة إلا مصرّ عليها مائل إليها من الأولاد إذ يلقون إليهم أنه عمل هذا العمل، لم يبخل عامة ذلك من رغد العيش وبسعة الرزق وبلوغ الأمل. وربما جعلوا حمارة تحت أسرتهم تفاؤلًا وأمارة ليكونوا في عامهم ذلك أكيس من الحمارة، فهل سمعتم يا أولي الألباب بأعجب من هذا العجاب. طاعة أولي النهي والأحلام من الرجال إلى الوالدان وثبات الجمال.

وأرى أنه ما جرى على أهل الأندلس هذا إلا جوار النصارى، دمرهم الله من جيران ومخالطتهم لتجارهم ومكاشفتهم عند الكينونة في أسرهم وبذلك حذرنا من ترائي النيران.

قال (ورقة 4 م إسكوريال) النبي (ﷺ): «**أنا بريء من كل مسلم مشرك** (ورقة 4 ب المتحف البريطاني) **لا تراءى ناراهما**» ما سرى ذلك إلى هذه العدوة ولا بالاتباع لهم والقدوة وما عبر عن ذلك البر إلى هذا البر بدعة أشنع منها ولا أضر.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ونضر وجهه وأجزى ثوابه، فإن قيل: فإن كان الأمر كذلك وتنبعث هذه العين المالحة من هناك حتى مدت أسبالها وبسطت أطنابها وجرّت أذيالها وسقت البطالة ذوي الطول والاستطالة، حميًا الفتنة وجريًا لها حتى شبهوا أجناس النصارى. وقد استقر في الأنفس أن قرار علماء المغرب والأندلس، وبصائر أهل المغرب في ذلك مستبينة وعمل قرطبة عندهم كل عمل بالمدينة، فما الراسخين من علمائها والنحارير من حكامها وحكمائها والصالحين من دهمائها، لم يصدعوا في هذه البدع بالإنكار بالمواعظ والتذكار بالعشي والإبكار والعادة

قاضية في الأمور الكبار، أن تفشو بها الأحاديث وتستفيض بها الأخبار.

فالجواب والله الموفق للصواب أن الأخبار قد استفاضت منها الأسماع وفاضت بالزجر والإنكار، والركوع لفاعلها بالتقريع والتبدع بل بالتضليل والإنكار لكل من أعرض عن رواية الآثار، وتعاطى الفقيه الراوية الثقة التاريخي المسند أبو القاسم خلف بن عبد الله بن بشكوال الأنصاري القرطبي جزءًا حسنًا هو مما أذن له فيه وكتب به غير مرة إلينا.

قال في باب كراهية النيروز والمهرجان والميلاد وذم الاحتفال لها، وترك تعظيمها والاستعداد لدخولها. وكان يمنع أكل ما يذبح لها. كان السلف ﷺ وأهل الخير والفضل والدين والورع يكرهون هذه الفصول المذمومة ويعيبونها على فاعلها والمستعمل لها والمحافظ عليها (ورقة 4 ب نسخة تركيا)، لأنها أعياد النصارى.

ثم قال رسول الله (ﷺ): «**من تشبه بقوم فهو منهم**» ثم قال بعد: فإني رأيت الله وإياك من مضلات الفتن وأعاننا على إحياء سنن الجمهور اللفيف والعالم الكثيف من أهل عصرنا قد تواطؤوا على تعظيمها شأن هذه البدع الثلاث: الميلاد والنيروز والمهرجان، وهو العنصرة تواطؤوا فاحشًا، والتزموا الاحتفال لها والاستعداد لدخولها التزامًا قبيحًا، فهم يرتقبون مواقيتها ويفرحون بمجيئها، ولعمري لقد نشبوا في فتنة هوى أوقتهم في بدعة عمى، وشاقوا الله ورسوله من حيث لا يعلمون واستهلوا هذه البدع حين ألفوها وعظموها حتى صارت عندهم كالسنة المتبعة (ورقة 4ب إسكوريال) وسكت العلماء ﷺ عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيها، ويأتي السلطان في تغييرها وتمكّن الشيطان من تزيينها، فوقع الناس من هذه البدع في أمر عظيم، إلا أن يتداركنا الله برحمته.

ثم قال: قال أحمد بن زياد: قال لنا ابن وضّاح: جاء الحديث أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: اجتنبوا أعياد اليهود والنصارى، فإن السخط ينزل عليهم من مجامعهم ولا تتعلموا رهانتهم فتتخلقوا ببعض خلقهم. قال: وبلغني أن ناسًا من أهل العراق قالوا لعبد الله بن عمر رحمه الله، فإنّا نقول في النيروز، فإن أهل بلدنا يعظمونه ويهدون لنا فيه، كأنهم يسألون عن تعظيمه. قال: لا أدري ما نيروزكم هذا، من تشبّه بقوم فهو منهم، وذكر الدور في أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله نهى أن يذهب إليه في النيروز والمهرجان بشيء.

قال ابن وضّاح رَحِمَهُ اللهُ: حدثنا محمد بن سعيد بن أبي مريم ومحمد بن يحيى الصدفي المصري قالا: حدثنا آدم بن موسى عن الربيع بن صبيح عن أبّان بن أبي عياش قال: لقيت طلحة بن عبيد الله بن جرير الخزاعي، فقلت له: قوم من إخواننا من أهل السنة والجماعة ما يطعنون على أحد ويجتمعون يومي النيروز والمهرجان ويصومونهما، فقال طلحة: بدعة من أشد البدع والله أشد تغليظًا للنيروز والمهرجان من غيرهم، ثم استيقظ أنس بن مالك، رَحِمَهُ اللهُ، فرقيت إليه فسألته كما سألت طلحة، فردّ مثل قول طلحة كأنما كان معه على ميعاد.

وخرج فيه عن ابن وضّاح، قلت لسحنون: إنهم عندنا إذا كان أعياد (ورقة 85م نسخة الدراسات العربية)، النصارى قالوا للصبيان، هيئونا ببيض وهدايا نقبلكم إلى الكنائس.

قال: أي شيء هذا، قلت: مثل الميلاد والعنصرة يقبلونهم ويأخذون منهم الهدايا. قال هذا بئس الرجل لا يصلّ خلفه ويقدم غيره وإن قدر على ذلك.

قال ابن وضّاح رَحِمَهُ اللهُ: وسألت أبا بكر زكريا يحيى بن سليمان عن إمام يقبل هدايا الصبيان في أعياد النصارى ويعظمها، قال: ما أراه مسلمًا، قلت: لا يصلّ وراءه، قال: أنا أقول لك ما أراه مسلمًا وأنت تقول لا يصلّ وراءه.

قال ابن وضّاح: وسألت سحنون عن ذلك فقال (ورقة 5 م نسخة تركيا): رجل سوء، قال ابن وضّاح رَحِمَهُ اللهُ: وحدثنا بهلول بن راشد عن سفيان الثوري (ورقة 5أ المتحف البريطاني) قال: دعي حنيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى طعام، فلما دخل من باب البيت رأى شيئًا من زي الأعاجم فرجع وهو يقول: يحذر الرجل أن يكون يهوديًا أو نصرانيًا وهو لا يشعر ثم قيل له رحمه الله: سألت محمد بن وضّاح عما يصنع الناس في أول ليلة من نيروز فقال: بدعة. فقلت له: أفأراد ما أهدي إليّ: ما أحسن ذلك قلت له: حسن!!. قال: نعم، أو استشريني في أن تتصدق بمائة دينار، ثم (ورقة 5 أ الإسكوريال) قال بمائة دينار قال: لا إلا بألف دينار أو ترد ما أهدي إليك وإلا نظرت عليك أن ترد ما أهدي إليك وتمسك ألف دينار قلت: ويبلغ به هذا كله، قال: نعم.

وسأل محمد بن خميس المعلم، ابن وضّاح عن ليلة العجوز والذي يفعله أهل بلدنا فيها فكره ذلك، وعابه عيبًا شديدًا، ونزع بآيٍ من القرآن منها قوله

تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف: 142]، ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴿٨٩﴾﴾ [يونس: 89]. ثم قال محمد بن وضّاح: لقد أعجبني أن ابن خميس المعلم جعل الصبيان يأتونه في هذه الليلة بالهدايا كما يفعل الصبيان، فردّها وأعجبه ذلك من فعله.

قال ابن وضّاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلت لسحنون: أرأيت ما كره «أيؤكل ما أعدوه لأعيادهم؟» أرأيت الميلاد والمهرجان والنيروز مما يعدّون لمثل هذا لا يؤكل؟ قال: نعم، هو من ذلك لا يؤكل كل ما أعدوه لهذه الأعياد.

قال أحمد بن زياد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا ابن وضّاح وإبراهيم بن محمد بن باز عن سحنون عن ابن القاسم عن مالك قال: بلغني أن أول ما صنعت الصور حتى عبدت واتخذت في موت نبي مات فافتقده قومه فجعل لهم بعض ما جعل لهم ليأنسوا به، فما زال ذلك حتى كان فيه ما كان وعبدت. قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بلغني أن عمر بن الخطاب (رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ) قال: إياي وزي الأعاجم.

حدثنا ابن وضّاح رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: حدثنا أحمد بن عمر بن البشر قال: حدثنا به عبد الله بن وهب قال: قال لي من سمع الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتحدث عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني قال: حدثني عبد الله الديلمي قال: ما ابتدعت بدعة إلا زادت مضيًّا. ولا تركت سنة إلا زادت هوانًا. قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وكذلك كل بدعة عليها زينة وبهجة، وسيأتي على الناس زمان ينكر الحق فيه تسعة أعشارهم.

حدثنا ابن وضّاح حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن (ورقة 5 ب نسخة تركيا)، أبي عثمان النهدي أن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كتب إلى عتبة بن فرقد: إياكم والنغم وزي الأعاجم.

وقد روينا أن رجلًا ولي السوق بقرطبة فبرح على الناس في النيروز لا يزيدوا على ما في حوانيتهم فأعجب فعله ذلك ابن وضّاح وغيره من أهل العلم، ومما ينبغي لأهل العلم والخير والفضل والدين أن يجتنبوه في هذه الفصول المذمومة ما يذبح فيها من الحيوان وترك أكل لحمه ويرونه مما أهلّ لغير الله به، وقد سمعت شيخنا أبا محمد ابن عتاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم النيروز وهو يحكي عن أبيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومكانته من الفضل والدين والعلم أي مكانة أنه كان ينهى عن أكل اللحم في هذه الفصول، وكان يقول: إنه إنما أهلّ به لغير الله ويتشدد في ذلك.

وقد قيل لعبد الرحمن بن عيسى بن مدراج: ما قولك في قوم من أهل الخير يجتمعون ليلة قبل النيروز أو ليلة بعده مع أقاربهم وأصهارهم فيأكلون الإدام والفاكهة ويجتنبون الليلة المذمومة. فقال: كل ذلك منه وحواليه ومنع ذلك. وقد قال غيره: أيّ بدعة أفحش وأسمج من أن يكون المسلمون يحتفلون ويستعدون لدخول شهر أو سنة من شهور العجم وهم أعداؤنا وإنما عاديناهم على كفرهم بالله.

وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المُمتَحنَة: 1]، فأي مودة تكون أبين (ورقة 5ب نسخة بريطانيا) من تعظيم أعيادهم، وأي ولاية تكون أعظم من التشبه بهم والتفخيم لأمرهم والمشاركة لهم في ضلالهم وكفرهم، يا لها من مصيبة ما أجلّها إنا لله وإنا إليه راجعون.

إن من أعظم أسباب هذه البدعة وأقوى دواعيها مطاوعة الرجال للنساء على الاستعداد لها والتفخيم لشأنها وانقيادهم لهن في ذلك عامًا بعد عام حتى رسخت في صدورهم وتصورت في عقولهم وتاقت إليها أنفسهم، وقد نبأنا القرآن ونبأهم بما امتحن الله به آدم عليه الصلاة والسلام من البلاء والندم لمّا أطاع حواء زوجه على الأكل من الشجرة. وقد جاء في الحديث عنه، (ﷺ) قال: «**شاوروهن وخالفوهن**» فقال (ﷺ): «**طاعة النساء ندامة**».

قال بعض العلماء: لو أن رجلًا قام السنة كلها وصامها إلا ما لا يصام منها ولا يقام وفعل ذلك بنية خالصة لله صادقة، إلا أنه يساعد أهله ويستعد لتلك الليلة المبتدعة، ورجلًا آخر لا يزيد على الفرصة وهو ممن لا يستعد لتلك الليلة إلا بما كان يفعله أبدًا في غيرها من الليالي حذرًا لشرها واجتنابًا لبدعتها، لكان هذا الرجل الذي لا يزيد على الفريضة عند أهل العلم والورع أفضل من ذلك المجتهد المتلطخ بالبدعة وأهدى وأتقى.

ولا تقبل للذي يستعد لها شهادة، ولا يصلي خلفه إلا أن يتوب إلى الله ﷻ من ذلك توبة صادقة، ولا تقبل لأحد في يوم النيروز، ولا في الليلة المهرجان، ولا في ليلة العجوز، ومن قبل الهدية في هذه البدع الثلاث من أحد فقد شارك المبتدعين لها في (ورقة 6 م نسخة تركيا) إثمها وعارها.

ومما ينبغي أن يشدد على الناس فيه ما يوضع في النيروز من الصور المنهي

عنها التي وردت الآثار عن النبي (ﷺ) بالمنع (ورقة 85ب نسخة الدراسات العربية) من فعلها، لقوله عليه الصلاة والسلام: «**من صور صورة كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها بالروح وليس بنافخ أبدًا**» وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه صورة**» وقال ابن عباس رضي الله عنهما لرجل سأله عن ذلك: إن أبيت فعليك بالشجر وبكل ما لا روح له.

ومما فتن الناس فيه بالسؤال عن مولد عيسى عليه السلام، فكثيرًا ما يسألون عنه أوليس كانوا بميلاد نبينا محمد عليه الصلاة والسلام أولى يتهم به ومعرفته فكثيرًا (ورقة 6أ نسخة الاسكوريال) منهم لا يعلمون ذلك.

ومولده (ﷺ) عام الفيل يوم الاثنين، عشرة ليلة خلت من ربيع الأول وتوفي (ﷺ) ضحى يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة (ﷺ) وشرف وكرم هذا أولى أن يسأل عنه ويتهم بمعرفته وحفظه لفضله وبركته (ﷺ).

وقد كان رحمكم الله جماعة من السلف يصبحون في يوم ينير صائمين ويأتون المساجد فيقيمون يومهم فيها ويصلون ويذكرون فيها ولا يأكلون في يومهم ذلك إدامًا ولا فاكهة، وقد كان خالد بن سعيد يقول: حدثت عن شيوخ بني قاسم بن هلال أنهم كانوا إذا كانت ليلة ينير لا يوقد عندهم نارٌ ولا يطبخ عندهم شيء، وحكى أيضًا، قال: سمعت محمد بن مسروق يقول: كان عندنا قوم يقال لهم بنو الأسباط كان لا يوقد عندهم نار ليلة النيروز كما قال: وكانوا علماء رحمهم الله وغفر لهم.

وذكر ابن حبيب رحمه الله عن بعض حكماء السلف أنه كان يقول: إياكم يا معشر النساء، لا ترششن في ذلك اليوم إلا من جنابة، فمن فعل ذلك منكن فقد تشترك في دم يحيى بن زكريا.

قلت: ومما استفدته من المطالعة وهو نص في الباب والحمد لله لما ذكره أبو الفتح محمد بن أحمد أبي الفوارس في أماليه التي يرويها أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن فهد العلاف: حدثنا أبو الفضل عبيد الله بن محمد الحاكم بمرو، قال: حدثنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي، قال: حدثنا محمد ابن عوف الحمصي، قال: حدثنا الفريابي محمد بن يوسف قال: حدثنا سفيان

عن الوليد أو ابن الوليد عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي (ﷺ) قال: **«من نشأ في أرض الأعاجم فعمل نيروزهم ومهرجانهم حشر معهم يوم القيامة»**.

قال المؤلف رحمه الله ونضر وجهه: ما زلت حريصًا على رفع هذه البدعة (ورقة 6م نسخة بريطانيا) ورفع هذه الشنعة وإطفاء هذه الفتنة والاعتصام بالله مما يعاقب به أهل هذه المحنة ولم يكن والحمد لله على ذلك سلطان، ولا حملت على تلك الموارد (ورقة 6 ب نسخة تركيا)، ولا ألممت بتلك الأعطيات، ولا أحببت من دعاني إلى ذلك من الراحلين ولا القطان، وأدركت الحكام وقد قسمهم الزمان بقسمين وحلاهم بوسمين، إما أمر بمعروف فيها بغير عزيمة، نقضي على جيش البدع بالهزيمة، وإما مغمور بجاه ولايته، معرض عن تعهد قوانين الإسلام ورعايته، ففعلت هنا النداء، وشعر الوقت عن حاكم ذي غيره ويسقط واهتداء، يعين على أهل البطالة والاعتداء بمشاركة ونصرة ومعونة ولو بالأعداء، اللهم غفرا وشكرا لنعمتك علينا معاشر (ورقة 6ب نسخة الإسكوريال) أهل السنّة لا كفرا ما خلى الغرباء المتمسكين بالكتاب الحاملين للسنن المحافظين على إقامتها وإحيائها بعد إماتتها بقوى مؤيدة من الحق ومننًا على القائمين فيها على غايات الدهر وأطراف الزمن الهادين المهتدين لسلوك واضحة المنار ولا حب السنن.

قال المؤلف رحمه الله: فأمعنت النظر، وأعملت الفكر فيها بشغل عن هذه البدع ويدفع في صدر هذا المنكر، ولو بأمر مباح، ليس على فاعله جناح بما تطمئن إليه نفوسهم وتعتد إليه أعناقهم وتميل إليه رؤوسهم، فعلم الله النية واطلع على الطوية، فأطلعني سبحانه أن أنبههم على أمر إذا تقرر أدبهم قام الشفاء ويطعن به المرض فنبهتهم على ميلاد نبيهم المصطفى سيد ولد آدم، خاتم النبيين (ﷺ)، وإن من العجب الإقبال على ما يغني والإعراض عمَّا وجب، فكثيرًا ما يسألون عن ميلاد عيسى وعلى نبينا عليه السلام وينتظرون الانتهاء إليه من الأيام، فيا أمة محمد، ويا خير الأمم، كفى بنا جفاءً أن لا نعرف ميلاد نبينا كميلاد عيسى ويحيى بن زكريا ولا علم لنا بهما فيما جاء من الأنباء أو لم يكن سؤالهم عن ميلاد نبيهم عليه أفضل الصلاة وأطيب السلام والتحيات أحق وأولى، والاهتمام به وبمعرفته أفضل سعيًا.

* * *

المبحث الثالث
محاربة البدع عند العامة في ليلة المولد النبوي الشريف

رفض الفقهاء المالكية البدع في الاحتفال بليلة المولد النبوي الشريف، من الرقص وضرب الطبول، والإسراف في طبخ الطعام، وعدم توزيعه للفقراء والمساكين والمحتاجين، فيرى الامام الفقيه الشاطبي أن «البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية»[1].

تطرق الفقيه المالكي الشاطبي عن أهل البدع وأهل الأهواء الذين ابتدعوا المسائل، واقتبس آيات من الذكر الحكيم لتوثيق كلامه وكشف زيف البدع في إقامة المولد النبوي من أفعال وأعمال شاذة عن الشريعة الإسلامية، بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الأنعَام: 159]، وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ﴾ [آل عِمرَان: 105].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عِمرَان: 7]. إذ إن طائفة من الناس تعمل بالموائد احتفالًا شاذًا بالشريعة كالرقص والغناء والفواحش في اختلاط الرجال والنساء، من دون رادع وهي أمور محرمة شرعًا لا بد من الإشارة إليها بالمناسبة المقدسة على نفوس المسلمين في الاستذكار والحكم والعبر، حسب الحديث الشريف: «**حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالًا فسئلوا فأفتوا بغير علم**» لأنهم أقاموا أنفسهم

(1) الشاطبي، الإمام أبو إسحق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي، الاعتصام، طبعة أحمد عبد الباقي، نشر دار الكتب العلمية، ط2 (بيروت 1426هـ/ 2005م) ج1/ 28.

مقام المستنبط للأحكام الشرعية المقتدى به فيها بخلاف العوام، فإنهم متبعون لما تقرر عند علمائهم لأنه فرض لهم، فليسوا بمتبعين للمتشابه حقيقة، ولا هم متبعون الهوى، وإنما يتبعون ما يقال لهم كائنا ما كان.

رفض علماء المالكية البدع في إقامة ليلة المولد النبوي الشريف وصنّفوا مؤلفات وأصدروا الفتاوى والمسائل لتصحيح بعض الممارسات التي لا تناسب الليلة العظيمة، مقسمين البدع إلى مخترع أو مستدل على صحة ذلك الاختراع مستندين على الآيات القرآنية الكريمة: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزّخرُف: 22] وذلك أن فريقًا من أهل الاحتفال لا يبالي بالشريعة في ممارسة بعض الطقوس، ويعود عمله إلى عادات وتقاليد الأجداد والآباء ليبرئ نفسه من الأخطاء الشرعية التي أشار إليها فقهاء المالكية في الأندلس والمغرب[1].

أورد الشاطبي في كتابة «الاعتصام» الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الشريفة لتفسير المسائل الشرعية عن احتفال ليلة المولد النبوي الشريف والأجر والثواب من إقامته وفائدته لتصحيح السيرة.

ذكر الحديث الشريف من قوله (ﷺ): «**من سنّ سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا**».

وحديث شريف آخر: «**من سن سنة خير فاتبع عليها فله أجره ومثل أجور من اتبعه غير منقوص من أجورهم شيئًا، ومن سنّ سنّة شرٍّ فاتبع عليها كان عليه وزرها ومثل أوزار من اتبعه غير منقوص من أوزارهم شيئًا**» وكلها أحاديث صريحة في أن من سن سنة خير فله خير والإحسان والشفاعة عند الرسول الكريم (ﷺ) يوم القيامة[2].

وعن الإمام انس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله (ﷺ): «**يا بني آدم، إن قدرت أن تصبح وتمسى ليس في قلبك غش لأحد فافعل**» وحسب نية الإنسان

(1) الشاطبي، الاعتصام، ج1/ 119. (2) الشاطبي، الاعتصام، ص128.

الذي يريد فعل الخير وإحياء السنة والسيرة بحسن نيته فعمله صالح[1].

تطرق الفقيه المالكي ابن الحفار الغرناطي (ت811هـ) في كتابه «نوازل الوصايا وأحكام المحاجير» فقد تحدث عن فتاوى ليلة المولد النبوي الشريف في الأندلس بقوله: «إنّ السلف الصالح لم يفعلوا في ليلة المولد شيئًا زائدًا على ما يفعلونه في سائر الليالي؛ لأن النبي (ﷺ) إنما يعظم بالوجه الذي شرع في تعظيمه وهم قد اختلفوا في تعيين ليلة ولادته. ولو شرعت فيها عبارة لعينها الصحابة وحققوا... أن تلك الليلة تقام على طريقة الفقراء... وطريقة الفقراء في هذه الأوقات شنيعة من شنع الدين، لأن عمدتهم في الاجتماع إنما هو الغناء والشطح، ويقررون لعوام المسلمين أن ذلك من أعظم القربان، وأنها طريقة أولياء الله وهم قوم جهلة لا يحسن أحدهم إحكام ما يجب عليه في قومه وليلة، بل هم من استخلفهم الشيطان على ضلال عوام المسلمين وإذا يزينون لهم الباطل، ويضيفون إلى دين الله ما ليس منه، لأن الغناء والشطح من باب اللهو واللعب وهم ينظرون إلى أولياء الله وهم يكذبون في ذلك عليهم ليتوصلوا بذلك إلى كل أموال الناس بالباطل، فصار التحبيس عليهم ليقيموا بذلك طريقتهم تحبيسًا على ما لا يجوز تعاطيه فيبطل ما حبس في هذا الباب على هذه الطريقة، ويستحب لابن هذا المحبس أن يصرف هذا الأصل من القوت إلى باب آخر من أبواب الخير الشرعية وإن لم يقدر على ذلك فيفعله لنفسه»[2].

لشدة صدى فرحة المولد النبوي الشريف في نفوس المسلمين استغل بعضهم مناسبة الاحتفال في باب اللهو والطرب والرقص والغناء واستخدام الأبواق التي تصدر أصواتًا صاخبة، وهذه بدع استنكرها الفقهاء المالكية، والاحتفال هو إحياء ذكرى الأخلاق والعطف على الفقراء والأيتام والمحتاجين ومساعدة الضعفاء، وكان لأعياد النصارى في المجتمع الأندلسي أثرًا في تلك التصرفات عند الصبيان وهي منكرات في الشريعة الإسلامية.

تتفق آراء فقهاء المالكية وأفكارهم وتشريعاتهم مع ما أوردته المصادر

(1) الشاطبي، الاعتصام، ص129.

(2) ابن الحفار الأندلسي المالكي، نوازل الوصايا وأحكام المحاجير، ج7/ 99 ـ 101.

الشرقية التصدي للبدع والمحرمات في ليلة إحياء المولد النبوي الشريف، وقد صنف السيوطي كتابًا عن المناسبة وقد أجاب فيه على عدة مسائل في الاحتفالية يذكر فيها اجتماع الناس على تلاوة القرآن الكريم ورواية أخبار الرسول (ﷺ) ثم الأكل في هذه المناسبة من الأفعال الحسنة وإطعام الفقير وإكسائه كما أوصانا سيدنا الكريم أبو القاسم (ﷺ) ابتهاجًا وتعظيمًا لليلة المباركة(1).

كما وصف الفقيه المالكي الشيخ تاج الدين عمر علي اللخمي الإسكندري الفاكهاني (ت734هـ) إلى أن عمل المولد بدعة مذمومة في كتابه «المورد في الكلام على عمل المولد».

تطرق الفقيه المالكي المغربي الونشريسي (ت بفاس عام 914هـ/ 1508م) عن المولد النبوي الشريف وإقامة الاحتفالية عن فتاوى الفقهاء والعلماء المغاربة والأندلسيين في باب عمل المولد النبوي الشريف بقوله: «سئل الوالي العارف بالطريقة والحقيقة أبو عبد الله بن عباد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ونفع به، عما ينفع في مولد النبي (ﷺ) من وقود الشمع وغير ذلك لأجل الفرح والسرور بمولده عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

فأجاب: الذي يظهر أنه عيد من أعياد المسلمين وموسم من مواسمهم وكل ما يقتضيه الفرح والسرور بذلك المولد المبارك من إيقاد الشمع وإمتاع البصر وتستره السمع والنظر، والتزين بما حسن من الثياب وركوب فاره الدواب أمر يباح ولا ينكر قياسًا على غيره من أوقات الفرح والحكم بأن هذه الأشياء لا تسلم من بدعة في هذا الوقت الذي ظهر فيه سر الوجود وارتفع فيه علم العهود وتقشع.

ينكر على قائله لأنه مقنت وجحود، وادعاء أن هذا الزمان ليس من المواسم المشروعة لأهل الإيمان، ومقارنة ذلك بالنيروز والمهرجان، أمر متثقل لتشمئز منه النفوس السليمة وترده الآراء المستقيمة»(2).

---

(1) السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي حياته (849 ـ 911هـ/ 1455 ـ 1505م)، حسن المقصد في عمل المولد، مخطوط مكتبة (خزانة تطوان/ المغرب/ رقم 134 الحديث والسيرة النبوية).

(2) الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت914هـ/ 1508م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب، تحقيق: محمد حجي وآخرون، الناشر دار الغرب الإسلامي (بيروت 1401هـ/ 1981م)، ج11/ 279-280.

الفصل الثاني
أثر الصحابة والتابعين والعلماء الفقهاء في إحياء ليلة المولد الشريف في المصادر المخطوطة والمطبوعة في الغرب الإسلامي

المبحث الأول: الصحابة العابرون إلى المغرب الإسلامي

لقد زودتنا الروايات التاريخية بالصحابة الكرام الذين مروا بالمغرب وهذا مما أعطى للمغرب الإسلامي قيمة دينية، ومعاني كريمة وأثرًا في تثقيف الرعية في المغرب الإسلامي فمنهم بلال بن حارث بن عاصم أبو عبد الرحمن من أهل المدينة أقطعه النبي العقيق، وكان صاحب لواء مزينة يوم الفتح ذكره صاحب «الخلاصة النقية» فيمن دخل المغرب[1].

ومنهم: جرهد بن خويلد الأسدي أو الأسلمي ذكر صاحب «الإشراق» أنه من جملة من دخل إفريقية من أرض المغرب[2].

ومنهم: جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة الأنصاري[3]. أخو أبو مسعود البدري قال في «التجريد»: شهد أحدًا وشهد فتح مصر وصفين مع علي وغزا إفريقية مع معاوية بن خديج سنة خمسين، وكان فاضلًا من فقهاء الصحابة روى ابن منده ومحمد بن الربيع من طريق مالك بن أبي عمران عن سليمان بن يسار أنه سئل عن النفل في الغزو فقال لم أر أحدًا يعطيه غير أن ابن خديج نفلنا من أفريقية الثلث بعد الخمسين ومعنا من أصحاب رسول الله (ﷺ) من المهاجرين الأولين ناس كثر فأبى جبلة بن عمرو الأنصاري أن يأخذ منه شيئًا.

ومنهم: الحسنان رضي الله عنهما على ما ذكره ابن خلدون وهما سيدا شباب الجنة وريحانتا الرسول أشهر من أن يعرف بهما.

---

(1) الإصابة، 1/ 326، الكاشف 1/ 227.
(2) الإصابة، 1/ 473، التاريخ الكبير، 2/ 248.
(3) الإصابة، 1/ 451، التاريخ الكبير، 2/ 218.

ومنهم: الحارث بن حبيب بن خزيمة القرشي العامري ذكره خليفة بن خياط نزل مصر من الصحابة قال وقتل بإفريقية مع معبد بن العباس بن عبد المطلب، ومنهم حمزة بن عمرو الأسلمي ذكره في «الإشراق».

ومنهم: حبان بالكسر وموحدة ابن جبلة قال في «الإصابة»: له إدراك قال ابن يونس: بعثه عمر بن الخطاب إلى أهل مصر يفقههم، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين وقال غيره: مات بإفريقية.

ومنهم: خالد بن ثابت العجلاني الفهمي قال ابن يونس: شهد فتح مصر وولي مصر سنة إحدى وخمسين وأغزاه مسلمة بن مخلد إفريقية سنة أربع وخمسين قال في «الاصابة»: ذكرته اعتمادًا على أنهم كانوا لا يؤمرون في الفتوح إلا الصحابة.

ومنهم: ربيعة بن عباد الديلي ذكره الواقدي فيمن دخل مصر من الصحابة إلى المغرب قال مالك: وأبوه بكسر المهملة وتخفيف الموحدة على الصواب ويقال بالفتح والتشديد ذكر ابن سعد أنه مات في خلافة الوليد.

ومنهم: رويفع بن ثابت بن السكن الأنصاري، ثم النجاري ولاه معاوية طرابلس سنة ست وأربعين فغزا إفريقية قال ابن يونس: توفي ببرقة وهو أمير عليهم قبل مسلمة بن مخلد سنة ست وخمسين.

ومنهم: زهير بن قيس البلوي أبو شداد الآتي ذكره بعد. قال ابن يونس يقال: صحبة.

ومنهم: سفيان بن وهب الخولاني أبو أيمن له صحبة ورواية شهد حجة الوداع وفتح مصر وإفريقية وسكن المغرب ومات سنة إحدى وتسعين.

ومنهم سلكان بن مالك قال محمد بن الربيع: ذكره الواقدي فيمن دخل مصر والمغرب.

ومنهم: سلمة بن الأكوع الأسلمي الصحابي المشهور ذكره الواقدي فيمن دخل مصر من الصحابة لغزو المغرب مات بالمدينة سنة سبع وسبعين وهو ابن ثمانين وكان شجاعًا راميًا سابقًا يسبق الفرس شدًّا على قدميه[1].

(1) الإصابة، 3/ 143، الطبقات الكبرى، 4/ 305.

ومنهم: العبادلة الأربعة رضي الله عنهم:

منهم: عبد الله بن عباس ترجمان القرآن أشهر من أن يعرف به، وهو الذي قسّم إفريقية يوم الفتح[1].

ومنهم: عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما من أعلام الصحابة وعبّادهم والمتمسكين بالسنة منهم رضي الله عنهم[2].

ومنهم: عبد الله بن الزبير ابن العوام الشجاع المشهور، والبطل المذكور وهو أول من ولد في الإسلام بعد الهجرة وهو قاتل جرجير يوم الفتح كما مر[3].

ومنهم: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أحد أجواد الدنيا وأبطالها، ذكر ابن خلدون أنه دخل إفريقية غازيًا، فهؤلاء العبادلة الأربعة.

ومنهم: عبد الله بن سعد بن أبي سرح الأمير المعروف وقد تقدم ذكره.

ومنهم: عبد الله بن عمرو بن العاص الصحابي المشهور أسلم قبيل أبيه، وهو أكثر حديثًا عن رسول الله (ﷺ) والصواب أن يجعل أحد العبادلة بدل جعفر والله أعلم، قال أبو هريرة رضي الله عنه: ما كان أحد أكثر مني حديثًا عن رسول الله (ﷺ) إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب. ولا عده ابن ناجي فيمن دخل المغرب مع ابن أبي سرح.

ومنهم: عبد الرحمن بن العباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ولد على عهده وقتل بإفريقية.

ومنهم: عبد الله بن عمر بن الخطاب ذكره في «الخلاصة النقية»، وكان صحابيًّا وقتل يوم صفين مع معاوية.

ومنهم: أخوه عاصم بن عمر وصحبته بالمولد ذكره صاحب «الخلاصة» أيضًا.

ومنهم: عبد الله بن نافع بن الحصين وجهه عثمان رضي الله عنه مع ابن أبي سرح لذكائه وإصابة رأيه.

---

(1) الإصابة، 4/ 141.

(2) الإصابة، 1/ 181، الطبقات الكبرى، 4/ 142.

(3) الإصابة، 1/ 89، الكاشف، 1/ 552.

ومنهم: عقبة بن نافع الفهري الأمير المشهور فاتح المغرب الأقصى وهو صاحب.

ومنهم: عثمان بن عوف المزني على خلاف فيه. أما عمرو بن العاص ﷺ فقد تقدم أنه انتهى إلى طرابلس ولم يصل إلى إفريقية.

ومنهم: مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي ولد بعد الهجرة بسنتين ولم تحصل له رواية لأنه خرج مع أبيه إلى الطائف فأقام بها. ذكره صاحب «الخلاصة» فيمن دخل المغرب.

ومنهم: مسعود بن الأسود البلوي وقيل العدوي قال الذهبي: بايع تحت الشجرة يعد في المصريين وغزا إفريقية. ومهم المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري وله ولأبيه صحبة قال محمد بن الربيع: دخل مصر لغزو المغرب مات سنة أربع وستين[1].

ومنهم: المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي والد سعيد بن المسيب له ولأبيه صحبة ورواية ذكره الواقدي فيمن دخل مصر لغزو المغرب.

ومنهم: المطلب بن أبي وداعة القرشي السهمي له ولأبيه صحبة وهما من مسلمة الفتح قال محمد بن الربيع: دخل مصر لغزو المغرب فيما ذكره الواقدي.

ومنهم: معاوية بن خديج السكوني أحد الأمراء وقد تقدم ذكره.

ومنهم: معبد بن العباس بن عبد المطلب ابن عم النبي، قال الذهبي: ولد على عهد النبي (ﷺ) واستشهد بإفريقية شابًّا في زمن عثمان ﷺ وحكى المؤرخون أن معاوية بن أبي سفيان أغزى سعيد بن عثمان بن عفان خراسان، ومعه قثم بن العباس بن عبد المطلب، فعبر سعيد النهر إلى سمرقند فاستشهد قثم بها، وكان أخوه الفضل بن العباس قد مات بأجنادين من أرض الشام وعبد الله الترجمان مات بالطائف، وعبيد الله الأصغر مات باليمن، ومعبد بإفريقية فقال الناس: لم ير مثل بني أم واحدة أبعد قبورًا من بني العباس.

ومنهم: المقداد بن الأسود الكندي ليس الأسود أباه وإنما ابتلاه الأسود بعد

(1) الإصابة، 6/ 119، الكاشف، 2/ 264.

عبد يغوث وهو صغير فعرف به وإنما اسم أبيه عمرو بن ثعلبة الكندي.

كان المقداد أحد السابقين شهد بدرًا وأُحدًا والمشاهد كلها ولم يثبت أن أحدًا شهد بدرًا فارسًا سواه. غزا إفريقية مع ابن أبي سرح؛ فلما رجعوا إلى مصر قال له ابن أبي سرح لولا أن يقال أفسدت مرتين لهدمتها.

ومنهم: المنذر الأسلمي قال ابن يونس: له صحبة، وكان بإفريقية وقال عبد الملك بن حبيب: لم يدخل الأندلس من الصحابة إلا المنيذر الأفريقي.

وأما المشتهرون بكنيتهم: فمنهم: أبو ذؤيب الهذلي الشاعر المشهور، شهد السقيفة وبيعة أبي بكر والصلاة على النبي (ﷺ)، ودفنه، وقال ابن كثير: توفي غازيًا بإفريقية في خلافة عثمان رضي الله عنه.

قلت: وهلك له خمسة أولاد بمصر بالطاعون فقال قصيدته العينية يرثيهم وهي مشهورة.

ومنهم: أبو رمثة البلوي قيل: اسمه رفاعة بن يثربي وقيل بالعكشي له صحبة وفي رواية قال الذهبي: سكن بمصر وبإفريقية.

ومنهم: أبو زمعة البلوي، قال الذهبي: اسمه عبد، وقيل: عبيد بن أرقم بايع تحت الشجرة ونزل مصر وغزا إفريقية مع ابن خديج روى حديث الذي قتل تسعًا وتسعين نفسًا وسأل هل من توبة؟ مات بإفريقية ودفنت معه شعرات من شعر رسول الله (ﷺ) حسبما قيل وهو مشهور وهو صاحب المقام خارج القيروان.

ومنهم: أبو ضبيس البلوي قال الذهبي: له صحبة وقال محمد بن الربيع الجيزي: دخل مصر لغزو المغرب.

ومنهم: أبو المبتذل خلف له صحبة ونزل إفريقية وقيل أبو المنذر كذا في «التجريد» غير هؤلاء ممن لم يحضرنا ذكرهم.

أخرج ابن عبد الحكم عن سليمان بن يسار قال: غزونا إفريقية مع ابن خديج ومعنا بشر كثير من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم ونفعنا بهم وحشرنا في زمرتهم آمين.

محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري[1] :

تلمساني، يكنى أبا عبد الله البري، وهو أخو أبي إسحاق التلمساني المذكور فيما تقدم، أخذ عن علماء الأندلس. وعني بالأنساب مع مشاركة في غير ذلك، وخط من النظم، وألف «كتاب الجوهرة في نسب النبي ﷺ وأصحابة العشرة»، مولده 14 ذي الحجة 596هـ، توفي بثغر في 17 ربيع أول، 618هـ[2].

محمد بن حزم بن بكر التنوخي :

من أهل طليطلة، وسكن قرطبة، يعرف بابن المديني، سمع من أحمد بن خالد، وغيره، وصحب محمد بن مسرة الجبلي، واختص بمرافقته في طريق الحج، ولازمه بعد انصرافه، وكان من أهل الورع والانقباض، وحكى عن مسرة أنه كان من سكان المدينة يتتبع آثار النبي ﷺ، قال: ودله بعض أهل المدينة على دار مارية أم إبراهيم زوجة النبي ﷺ، فقصد إليها، فإذا دويرة لطيفة بين البساتين بشرقي المدينة عرضها وطولها واحد، قد شق في وسطها بحائط وفرش على حائطها خشب غليظ، يرتقى إلى ذلك على خارج لطيف، وفي أعلى ذلك بيتان وسقيفة كانت مقعد النبي ﷺ في الصيف، قال: رأيت أبا عبد الله بعد ما صلى في البيتين والسقيفة، وفي كل ناحية من نواحي تلك الدار، ضرب أحد البيتين بشبره فكشفته بعد انصرافي وهو ساكن في الجبل عن ذلك، فقال: هذا البيت الذي تراني فيه، بنيته على تلك الحكاية في العرض والطول، بلا زيادة ولا نقصان[3].

صفوان بن إدريس بن إبراهيم بن إدريس[4] :

من أهل مرسية، يكنى أبا البحر، شاعر مجيد، كاتب بارع كثير الشعر في مراثي الحسين بن علي وأهل البيت عليهم السلام، منها قصائد وتخميسات، دوّنها الناس

(1) صلة الصلة، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي (ت 705هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت، 1429هـ/ 2008م).
(2) صلة الصلة، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي (ت 708هـ)، دار الكتب العلمية- (بيروت 1429هـ/ 2008م).
(3) المصدر نفسه.
(4) صلة الصلة، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي (ت708هـ)، دار الكتب العلمية، ج2، ط2، (بيروت 1429هـ/ 2008م).

واشتهرت لإحسانه فيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وله في ذلك خبر طريف حدثته لبعض من لقيته، وهو أن أبا بحر المذكور كان له نيشان حد التزويج ولم يكن له شيء يجهزهما به وأحدهما رحل إلى مراكش وقصد بها الإمارة مادحًا ومستمدحًا فما تيسر له شيء من أجله، ولا أثر له ما رواه وأعده من عمله، ففكر في خيبة قصده، إلى أن ذكرته خطرة إيمانية وعزيمة دينية، قال لو كنت أملت جهة الله تعالى ومدحت المصطفى (ﷺ) وآل بيته الأطهار، لبلغت أملي بمحمود عملي، ثم استغفر الله تعالى من اعتماده في توجهه الأول، وعلم أن ليس على غير الثاني من معول، فلم يك إلا أن صوب نحو هذا المقصود سهمه، وأمضى فيه عزمه، وإذا به قد وجه عنه وأدخل على الخليفة، وسأله عن مقصده، فأخبره مفصحًا به، وسأله كم أهل لذلك وأنفذه له، وزاد عليه، وعرفه أن ذلك لرؤيا رسول الله (ﷺ) في النوم بقضاء حاجته، فانفصل رحمه الله موفى الأغراض، حين صمم على الإقلاع على عراض هذه الفانية والإغراض، واستمر في رثاء أهل البيت، واستمرأ به رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أخذ عن القاضي الخطيب المقرئ، وأبي عبد الله بن حميد ولازمه، وروى عن قاضي الجماعة أبي جعفر بن مضاء وسمع عليه جملة بحضرة مراكش وله تآليف أدبية، منها كلامه المسمى بزاد المسافر، وكتاب «الرحلة» جزء أدبي نبيل، وكتاب «العجالة» يتضمن كتبه ونظمه، وفيه أدب جم، وغير ذلك، حدث عنه الحاج إسحاق اليابري، وغيره وذكره الشيخ في الذيل، توفي سنة ثمان وتسعين وخمسمائة، وسنه دون الأربعين سنة، وصلى عليه أبوه، وكان بمكان الفضل والدين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المبحث الثاني
التابعون الذين اهتموا بالمولد النبوي الشريف

هناك كثير من التابعين الذين اهتموا بالمولد النبوي الشريف في المغرب الإسلامي، نذكر قسمًا منهم:

1- حنش بن عبد الله الصنعاني:

ابن عبد الله عمرو بن حنظلة بن فهد بن قنان بن ثعلبة بن عبد الله بن تامر السبئي وهو الصنعاني، يكنى أبا رشيق كان مع علي بن أبي طالب بالكوفة، وقدم مصر بعد قتل علي، وغزا المغرب مع رويفع بن ثابت، والأندلس مع موسى بن نصير، وكان فيمن ثار مع ابن الزبير على عبد الملك بن مروان فأتى به عبد الملك بن مروان في وثاق، فعفا عنه، توفي بإفريقية سنة مائة، وكان من (ولي) عشور إفريقية في الإسلام، وولده بمصر اليوم ولده سعيد بن سلمة بن منصور بن حنش.

2- أصبغ بن خليل، من أهل قرطبة، يكنى أبا القاسم:

كان حافظًا للرأي على مذهب مالك وأصحابه، فقيها في الشروط، بصيرا بالعقود، دارت الفتيا عليه بالأندلس خمسين عاما. سمع من الغاز بن قيس، ومحمد بن عيسى الأعشى، ويحيى بن يحيى. ورحل فسمع من أصبغ بن الفرج، ولم يكن له علمٌ بالحديث، ولا معرفة بطرقه، وكان متعصبًا لرأي أصحاب مالك[1]. العالم المتفنن أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي الأعمى صاحب «كتاب الروض الأنف في شرح السيرة النبوية»، وهو مشهور في علم النحو وفنون الأدب، أغار الفرنج على سُهيل، وخربوه وقتلوا أهله وأقاربه وكان

---

(1) توفي سنه (273هـ)، ابن الفرضي (ت3-4)، تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: روحية عبد الرحمن السويقي، دار الكتب العلمية، (بيروت 1417هـ/ 1997، ص72-74).

غائبًا عنهم فاستأجر من أريكة دابة وأتى به إليه، فوقف بإزائه، وقال:

يا دار أين البيضُ والآرامُ؟ أم أين جيرانٌ عليّ كرامُ
راب المحب من المنازل أنه حي فلم يرجع إليه سلام
لما أجابني الصدى عنهم ولم يلج المسامع للحبيب كلام
طارحت ورق حمامها مترنمًا بمقال صب والدموع سجام

3- ابن سعيد المغربي/ المغرب في حلى المغرب[1].

4- عبد الرحيم بن الفرس، يعرف بالمُهر:

قرأ مع والده وكان يصفه بالذكاء المفرط والتفنن في الفلسفة، وآل أمره إلى أن سمت نفسه بطلب الهداية، فأظهر أنه القحطاني الذي ذكر النبي (ﷺ) أنه لا تقوم الساعة حتى يقودَ الناس طوع عصاه، وقال يخاطب بني عبد المؤمن شهرًا اشتهر منه البسيط:

قولوا لأبناء عبد المؤمن بن علي تأهبوا لوقوع الحادث الجللِ
قد جاء سيدُ قحطان وعالمها ومُنتهى القول للغلاب للدوَل
الناس طوع عصاه وهو سائقهم بالأمر والنهي نحو العلم والعمل
فبادروا أمره فالله ناصره والله خاذل أهل الزيغ والميل

وآل أمره معهم إلى أن قتلوه، وأرسلوا رأسه إلى مراكش، فعلق على باب الشريعة[2].

5- حسن بن عبيد الله بن محمد بن عبد الملك بن الحسن بن محمد بن عبد الله بن أبي رافع:

مولى رسول الله (ﷺ) من أهل قرطبة، يكنى أبا عبد الملك، ويعرف بابن زونات. سمع من ابن وضّاح، وعبيد الله بن يحيى وغيره وكان مشاورًا في

(1) المقري/ نفح الطيب/ ج4/ 359، دار الكتب العلمية، (بيروت 1417هـ/ 1997م)، ج1/ 369-370، الضبي/ بغية الملتمس: ترجمة 102، ص367، السيوطي/ بغية الوعاة، ص399، ابن فرحون المالكي/ الديباج المذهب/ ص105.
(2) ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج2/ 89 ترجمة 421.

الأحكام من أيام أحمد بن بقي القاضي إلى أن توفي واستخلفه ابن أبي عيسى القاضي على الصلاة مرات، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوم الثلاثاء لثلاث خلون من رجب سنة 336، ذكر تاريخ وفاته الرازي ودفن في مقبرة بلاط مغيث[1].

❁ ❁ ❁

(1) ابن الفرضي/ تاريخ علماء الأندلس، ص97، ترجمة 343.

المبحث الثالث
المخطوطات التي تناولت ذكر المولد النبوي الشريف

ساهم المولد النبوي الشريف في شحذ عاطفة العلماء والفقهاء والأدباء على التأليف ونظم القصائد وتصنيف الموشحات ووضع المدائح النبوية مستلهمين الدروس والعبر من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والسنة النبوية والتاريخ والحضارة الإسلامية، إذ صنفوا المخطوطات النبوية المنتشرة في مكتبات العالم الإسلامي والأوروبي تزخر بفخر الأمة العربية الإسلامية، إذ فجرت إبداعًا غزيرًا ومتنوعًا لا حدود لأبعاده وآفاقه، حيث نجدهم تتبعوا مراحل السيرة النبوية الزاخرة، بدءًا من الحديث عن نسب الرسول الكريم (ﷺ) ومولده إلى الحديث عن وفاته وآل بيته، عاملين لحنًا داخل هذا الإطار على شمائله ومعجزاته ومواقفه وغزواته، فاهتم أهل الغرب الإسلامي إلى تأليف الكتب والعناية بشمائل السيرة النبوية كالمعراج والهجرة والنعال النبوية والشوق إلى زيارة البقاع المقدسة، تؤكد على الفيض العميق بحب نبيهم الكريم والاقتداء بسيرته السمحاء.

المؤلفات في السيرة النبوية عند المؤرخين والفقهاء المغاربة والأندلسيين:

1- القاضي عياض السبتي (ت544هـ)/ «الشفا بتعريف حقوق المصطفى».

2- ابن دحية الكلبي البلنسي (ت 633)/ «نهاية السول في خصائص الرسول (ﷺ)».

3- ابن دحية الكلبي البلنسي/ «الآيات البينات في خصائص أعضاء رسول الله (ﷺ)».

4- المهدي الفاسي (ت1109هـ)/ «العقد المنضد بجواهر مفاخر محمد (ﷺ)».

5- المهدي الفاسي/ «كفاية المحتاج من خير صاحب التاج واللواء والمعراج».

6- المهدي الفاسي/ «سمط الجوهر الفاخر من مفاخر النبي الأول والآخر».

7- محمد بن عبد الرحمن الدلائي/ «فخر الثرى بسيد الورى».

8- محمد بن عبد الرحمن الدلائي/ «زهر الحدائق وخلاصة الحقائق من سيرة سيد الخلائق وما يتتبع ذلك من النكت والدقائق» (مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 306د).

9- محمد بن عبد الرحمن الدلائي/ «الزهر الندي في الخلق المحمدي» (مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 157د).

10- محمد المعطي الشرقاوي (ت1180م)/ «الذخيرة في السيرة النبوية».

المؤلفات المخطوطة والمطبوعة عن المولد النبوي الشريف في الغرب الإسلامي:

1- أبو العباس العزفي السبتي/ «الدرر المنظم في مولد النبي المعظم».

2- الشرقاوي/ «مولد المعطى».

3- جعفر بن إدريس الكناني (ت1323هـ)/ «القهر المنشق وحقيقة الحقائق بمولد الشفيع وخير الخلائق».

4- محمد بن التهامي جنوب (1331هـ)/ «هدية المحبين إلى ذكر مولد سيد المرسلين (ﷺ) في كل حين».

5- محمد بن جعفر الكناني (ت1345هـ)/ «إسعاف الراغب الشائق بخبر ولادة خير الأنبياء وسيد الخلائق».

6- فتح الله بناني (ت1333هـ)/ «فتح الله في مولد خير خلق الله».

7- أحمد بن محمد العلمي (ت1358هـ)/ «المولد».

8- أحمد بن العياشي سكيرج (ت1363هـ)/ «المولد».

9- عبد الرحمن بن زيدان (ت1365هـ)/ «النور اللائح بمولد الرسول الخاتم».

10- محمد بن الموقت المراكشي (ت1369هـ)/ «الرحمة العامة في مولد خير الأمة».

المؤلفات المخطوطة والمطبوعة عن الشروح والحواشي لقصائد المدائح النبوية وهي:

1- محمد الحضيكي (ت1189هـ)/ «شرح الشقراطيسية».

2- عبد الله بن يحيى الحامدي/ «شرح البردة» (مجموع مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 1098د).

3- سعيد بن سليمان السملاني الكرامي (ت882هـ) شرح البردة (مخطوط الخزانة العامة بالرباط، ضمن مجموع رقم 1372د).

4- محمد بن عبد السلام بناني (ت1163هـ)/ «شرح البردة».

5- أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني (ت1146هـ)/ «الجواهر السنية في شرح الكواكب الدرية».

6- أحمد بن محمد الفاسي (ت1021هـ)/ «شرح البردة».

7- محمد المكي البيطاوي (ت1355هـ)/ «نسيم الوردة في شرح البردة».

8- محمد بن زكري (ت1144هـ)/ «شرح الهمزية».

9- محمد الحضيكي/ شرحها (مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 1478 و1658د).

10- أحمد بن الوزير/ شرحها.

11- أحمد بن محمد الفاسي/ شرحها.

12- محمد جنون (ت1302هـ)/ شرحها.

13- محمد المكي البيطاوي/ «لمحات المزية من نفخات الهمزية».

14- ابن الحسن بناني/ «شرح بانت سعاد».

15- محمد بن قاسم القادري/ «حاشية على شرح الأزهري للبردة».

16- عبد الرحمن المكودي النحوي (ت807هـ) المقصورة/ شرحها عبد العزيز الفشتالي وعبد الواحد الغلالي من العصر السعدي بالمغرب.

الاهتمام بليلة المولد النبوي الشريف بالغرب الإسلامي دفع المؤلفين إلى

الكتابة عن مظاهر تنبأت إلهية في نفوس العلماء في ليلة ولادته، منهم الشيخ فتح الله بناني عن بعض العلامات التي ظهرت عند ولادته (ﷺ): «.... ظهرت عند ولادته (ﷺ) خوارق وآيات، ودلائل وعلامات، تمهيدًا لنبوته، وإعلامًا بعلى رتبته، منها ارتجاج إيوان كسرى، وتحركه واهتزازه المرة بعد الأخرى، وسقوط أربع عشرة شرفة من شرفاته، إعزازًا لنبيه وإذلالًا لعلاته، والإيوان بناء عظيم في غاية الإتقان، يعدونه للملوك والحكام، كان يظن أنه لا تهدهم إلا نفخة الصور عند القيام...»[1].

الكتب المخطوطة والمطبوعة المشهورة عند المؤلفين في الغرب الإسلامي في السيرة النبوية:

1- أبو علي الرهوني المراكشي (ت661هـ)/ أرجوزة (تضم أكثر من ستة آلاف بيت) بعنوان «الأحكام لسياق سيدنا محمد (ﷺ) والمعجزات الباهرات والأعلام»، ألفه لابن القطان المرتضى الموحدي مخطوط مكتبة القرويين بفاس رقم 292.

2- فتح بن موسى بن حماد القصر (ت663هـ)/ نظم لسيرة ابن هشام وعنوانه «السول في نظم سيرة الرسول» مخطوطة في مكتبة الملكية بالرباط رقم 1668.

3- أحمد سكيرج/ «مورد الصفا في محاذاة الشفا»، وهو نظم للقاضي عياض، يقع في أكثر من سبعة آلاف بيت مخطوط عند ابن المؤلف عبد الكريم سكيرج.

نظم القصائد الشعرية المعارضات والتخميسات المخطوطة والمطبوعة في الغرب الإسلامي:

1- مالك بن المراحل السبتي (ت699هـ)/ «الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والأخرى» حسب حروف المعجم، بكل حرف عشرون بيتًا (مخطوطة الخزانة العامة بالرباط رقم 89ج).

وأولها:

إلى أحمد أهديت غير ثنائي فيا طيب إهدائي وحسن ثنائي

(1) الشيخ فتح الله بناني، المولد، ص136.

2- أحمد بن العياشي سكيرج (ت1363هـ)/ «ضوء الظلام في مدح خير الأنام» وضعها على كل حرف عشرة أبيات، ومطلعها:

جمالك يا خير الورى خير النهى ونورك في الأكوان ضاءت به الدجى

3- الفاطمي الصقلي (ت1311هـ) تخميسًا على منهج وتريات ابن رشيد البغدادي من أهل القرن السابع الذي أقام بالمغرب وله وتريات تضم 29 قصيدة على حروف المعجم، في كل قصيدة 21 بيتًا. إذ تضم الصقلي أوله:

اللهو بتشبيب وشيي تبسمًا وأعدل عن مدح الحبيب الذي سما
أقول إذا ربا علاه تنسمًا أصلي صلاة تملأ الأرض والسما
على من له أعلى العلا قبوًا

4- العالم والشاعر المغربي الصحراوي أبو بكر محمد بن المهيب، الذي خمس «ديوان الوسائل المنقبلة» لأبي زيد عبد الرحمن الفازاني الأندلسي الذي كان معاصرًا لابن رشيد البغدادي، ويشتمل هذا الديوان على عشرين قصيدة مرتبة على حروف المعجم، أولها:

أحق عباد الله بالمجد والعلا نبي له أعلى الجنان مبوأ

5- الطاهر الإيفراني (ت1374هـ) له قصيدة يعارض بها «بانت سعاد» مخللًا أشطار قصيدة كعب، وأولها:

دع عنك لومي فما التعذال مقبول بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

6- بردة الحلوي التي يعارض بها قصيدة البوصيري ومطلعها:

أحبب بها من ربي عطرية النسم تفوح بالطهر والإلهام والقيم[1]

الدواوين والمدائح النبوية المخطوطة والمطبوعة في الغرب الإسلامي وهي:

1- محمد بن القاسم بن داود السلوي (من أهل ق9هـ)/ «نوادر النظام في شرف سيد الأيام»[2]، ويضم مائة نادرة ونادرة، ومجموع أبياته يزيد على ثلاثة آلاف بيت.

---

(1) ينظر: مجلة «دعوة الحق» العدد 7، السنة 12 ربيع الأول 1389هـ (الرباط، يونيو 1969م).

(2) مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 360ك.

2- عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (ت1096هـ)، «ديوان في المديح النبوي».

3- عبد الكريم بن زاكور (كان واليًا على تطوان في عهد سيدي محمد بن عبد الله، «ديوان السراج الوهاج في مدح صاحب التاج والمعراج»[1].

3- علي بن سليمان الدمناتي المراكشي (ت1306هـ)، «ديوان في المديح النبوي».

مخطوطات الخزانة الحسنية (مكتبة القصر الملكي بالرباط ـ المغرب) عن كتاب: منتخبات من نوادر المخطوطات في الخزانة الملكية ـ الرباط 1398هـ ـ 1978م.

1- كتاب «الوفا بيان فوائد الشفاء» لعبد الله بن محمد بن أحمد التجاني التونسي كان حيًّا عام 717هـ/ 1317م. (الرقم 4016).

(الانوار في آيات النبي المختار) لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي الجعفري المتوفى بالجزائر سنة 873هـ/ 1468م. (الرقم 2881).

2- (الجوهر الثمين في نخب سيرة الأمين) لعبد النبي بن جماعة. (الرقم 1169ز).

(سمط الجوهر الفاخر من مفاخر النبي الأول والآخر) لأبي عيسى محمد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي الفهري المتوفى بفاس عام 1109هـ/ 1697م. (الرقم 94).

3- (تحفة الأخيار على شمائل النبي المختار) لأبي الحسن علي بن احمد الجريشي المتوفى 1142هـ/ 1731م. (الرقم 1695).

(ديوان في الأمداح النبوية) لأبي الفيض حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمي المودابي ت 1239هـ/ 1816م.

المخطوطات العربية في تطوان ـ المغرب (في كتاب : فهرس مخطوطات خزانة تطوان)، إعداد : المهدي الدلير، ومحمد بو خبزه ـ القسم الثاني (الحديث والسيرة النبوية)، تطوان 1404هـ/ 1984م.

---

(1) مخطوط الخزانة العامة رقم 1830ك، ونسخة في المكتبة الملكية بالقصر، رقم 2356.

(حسن المقصد في عمل المولد) جلال أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي حياته 849هـ/ 1445 - 1505م. (الرقم 134).

(مولد النبي (ﷺ) لابن حجر الهيتمي، ت 909- 974 هـ/ 1504 ـ 1567م.

(النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد ولد آدم) أو (القول السوي، في أصل وعمل المولد النبوي) لابن حجر الهيتمي. (الرقم 13/ 456ع).

(شرح مولد النبي (ﷺ) للشيخ حسن المدفعي ت 117هـ/ 1765م. (الرقم 396).

(مورد هني، لمولد سني) لابن رضوان الأبياري المصري الشافعي ت 1305هـ/ 1888م. (الرقم 14م/ 456ع).

(رسالة في مولد الرسول (ﷺ) الحسن رجب بن محمد بن حسن السقا المصري الأزهري الشافعي ت 1326هـ/ 1908م. (الرقم 14/ 465ع).

(المنتظر البهي، في طالع مولد النبي وما يتبعه من أعمال المولد، وحكم القيام عند ذكر مولده عليه الصلاة والسلام) لأبي الفتوح محمد بن خليل وحيد الدين الهجرسي الحنفي 1328هـ/ 1910م. يتبع مخطوطات مكتبة الوطنية للمخطوطات ـ بغداد (الرقم 377م).

(المولد النبوي) للواقدي ت 208هـ. (الرقم 10221).

(المولد النبوي) مجهول المؤلف (الرقم 1156).

(مولد رسول الله (ﷺ) كتبه الشيخ حسين بن أحمد الترك خدام الشيخ عزرور سنة 1280 هـ. (مجموع 39324).

نصوص مختارة عن ليلة المولد النبوي الشريف من مخطوط: «جنى الجنتين في شرح الليلتين» لابن مرزوق التلمساني:

المخطوط يتضمن معلومات مهمة ومفيدة وجديدة عن مراسيم المولد النبوي الشريف والتي تقام في الأندلس والمغرب، إذ استفاد هذا المخطوط ونقل نصوصًا وآراء فقهية من مخطوط «كتاب الدر المنظم في مولد النبي المعظم» لابن العزفي، إذ أشار إلى ذلك المؤلف الفقيه ابن مرزوق في

صفحات كتابه ونصوصه، هذه هي:

الورقة 32.

الباب الثاني: ما يخص ليلة المولد الشريف والكلام في تعينها وفضلها وخواصها وفيه يحسب هذا لتنويع فصول:

الفصل الأول: في تعيين ليلة ولادته (ﷺ) في الورقة 32-40.

الفصل الثاني: في فضل هذه الليلة الكريمة في الورقة 41.

الفصل الثالث: فيما اختصت به هذه الليلة الكريمة من الآيات الطاهرة، في الورقة 41.

المقارنة لولادته (ﷺ)، ذكرها كثير من أئمتنا رضوان الله عليهم متفرقة فجمعتها، ومن كثير من المصنفات دونتها، ومن غصون بطون جملة من الدفاتر استخرجتها وأنا ذاكرها إن شاء الله تعالى على التوالي حسب ما وقع إلى ذلك وبالله التوفيق.

ونقل عنها أبو علي الحسن ابن الحافظ أبي الحسن بن القطان في كتابه «الأعلام» وصاحب «الدر المنظم» وصاحب «كتاب الزاهر».

الورقة 54.

وورد من أمثال هذه الأخبار المتضمنة أعلام أهل الكتاب بولادته ليلة ولادته (ﷺ) وما يضيق عنه هذا المقتضب، وإنما نذكر فيه ما اختص بليلة الولادة المشرفة من الآيات المقترنة بالولادة والعلامات متنوعة.

الورقة 99...

ومقارنة بين مكانة وقدسية وأفضلية ليلة القدر المباركة وليلة المولد النبوي الشريف، وفيها نظريات وآراء الفقهاء.

ومن أثره ليلة المولد بالمعنى الذي قدمناه من وجوب:

الأول: أن الشرف حسب ما قدمناه هو العلو والرجعة، وهما نسبتان إضافيتان، فشرف كل ليلة بحسب ما شرفت به، وليلة المولد شرفت بولادة خير

خلق الله ﷻ فبقت أفضليتها بهذا الاعتبار الثاني.

الثاني: إن ليلة المولد ظهوره (ﷺ) وليلة القدر معطاة له حسبما قدمناه، وما شرف بظهور فإن المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب ما أعطيه ولا نزاع في ذلك. فكانت ليلة المولد بهذا الاعتبار أشرف.

الثالث: أن ليلة القدر إحدى ما منحه من شرفت ليلة المولد بوجوده من الهبات والمزايا وهي لا تحصى كثيرة، وما شرف بإحدى خصائص من ثبت له الشرف المطلق لا يتنزل منزلة أشرف بوجوده، وظهر أن ليلة المولد أشرف بهذا الاعتبار وهو المطلوب.

الرابع: أن ليلة القدر شرفت باعتبار ما خصت به وهو منقض بانقضائها إلى مثلها من السنة المقبلة على الأصح من القولين، وليلة المولد شرفت بما ظهرت آثاره وبهرت أنواره دائمًا أبدًا في كل فرد من أفراد الزمان من ليلة بهذا إلى انقضاء الدنيا.

الخامس: ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها، وليلة المولد بظهور النبي (ﷺ) فيها، ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الأصح المرتضى فتكون ليلة (الورقة 100) المولد أفضل من هذا الوجه وهو المطلوب.

السادس: الأفضلية عبارة ظهور فضل زائدة في الأفضلية والليلتان معًا اشتركتا في الفضل فتنزل الملائكة فيها معًا حسب ما سبق مع زيادة ظهور خير الخلق (ﷺ) في ليلة المولد ففضلت من هذا الوجه على القولين جميعًا في المفاضلة بين الملائكة والأنبياء عليهم السلام.

السابع: ليلة القدر شرفت بشرف الملائكة عليهم الصلاة والسلام وانتقالهم من محالهم من الملأ الأعلى إلى الأرض، وليلة المولد شرفت بوجوده (ﷺ) وظهوره، وما شرف بالوجود والظهور أشرف مما شرف بالانتقال أما ليلة القدر فضلت باعتبار عمل العامل فيها، فأنت إذا قدرت أهل الأرض كلهم عاملين فيها فلا يلحقون قدر من شرفت به ليلة المولد ولا يلحقون عمله في لحظة، وإن كان في غيرها فتثبت الفضيلة ليلة المولد بهذا الاعتبار.

الثامن: شرفت ليلة القدر بكونها موهوبة لأمة محمد (ﷺ) عند إتيانه ﷺ، وشرفت ليلة المولد بوجهه من وهبت ليلة القدر لأمته ﷺ اعتبارية فكانت أفضل.

التاسع: ليلة القدر وقع التفضل فيها على أمة محمد (ﷺ) وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات، فهو الذي بعثه الله ﷻ رحمة للعالمين فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: 107]، فعمت به النعمة على جميع الخلائق، فكانت ليلة المولد (الورقة 101) أعم نفعًا بهذا الاعتبار.

العاشر: ليلة المولد فضلت عن غيرها من ليالي السنة بولادته (ﷺ) فإنك تقول فيها ليلة مولد محمد (ﷺ) وتقول في ليلة القدر وهو إما الشرف وإما التقدير، والإضافة في ليلة المولد إضافة اختصاص وهي أبلغ من الإضافة إلى مطلق الشرق، فكانت أفضل بهذا الوجه وهو المطلوب.

الحادي عشر: ليلة القدر، إما ليلة الشرف أو ليلة التقدير فهي وإن كان التقدير فيها من لوازم شرفها باعتباره. . .، وليلة المولد ليلة شرف عام لا أمرًا فيه، تثبت ليلة المولد وهو المطلوب.

الثاني عشر: ليلة القدر إنما يحظى بها العامل فيها، فمنفعتها قاصرة، وليلة المولد متعدية منفعتها وما كانت منفعته متعدية أفضل من غيره وهو الدعاء.

الثالث عشر: ليلة القدر تثبت في فضلها ما ثبت مما قدمناه إلا أنه عرض فيها ما عرض من اختلاف في البقاء والشرف وإن ضعف، وليلة مولده (ﷺ) شرفها بأولها سنذكره إن شاء الله فكانت أفضل بهذا الاعتبار.

الرابع عشر: المدعى أن ليلة المولد أفضل ويدل عليه بأن تقول زمن شرف بولادته (ﷺ) وإضافته إليه واختص بذلك، فتبين أهل الأزمنة قياسًا على أفضلية البقعة التي اختصت به عليه الصلاة والسلام من أطباقها على سائر الأمكنة وقد فضلتها إجماعًا، فليكن الزمن الذي اختص بولادة (ﷺ) أفضل (الورقة 102) الأزمان بهذا الاعتبار.

الخامس عشر: ليلة القدر فرع ظهوره (ﷺ) والفرع لا يقوى قوة الأصل ففضلت ليلة المولد بهذا الاعتبار وهو المطلوب.

السادس عشر: ليلة المولد حصل فيها من القبض الإلهي النور الذي ما عم الوجود، ووجوده مفارق لوجوده (ﷺ) ولم يقع ذلك إلا فيها، فوجب فصلها على غيرها وهو المدعى.

السابع عشر: ليلة المولد أظهر فيها سر وجوده (ﷺ) التي ارتبطت به السعادات الأخروية على الإطلاق وافتتحت الحقائق وتميز به الحق من الباطل، وظهر ما أظهره الله تعالى في الوجود من أنوار السعادة وسبيل الرشد وافترق به فريق الجنة من فريق السعير وتميز وعلا به الدين وأصبح الكفر وهو الحقير إلى غير ذلك من أسرار وجود الله ﷻ في مخلوقاته وما عبر الوجود من آياته ولم يثبت ذلك في ليلة من ليالي الزمان، فوجب بذلك تفصيلها بهذا الاعتبار وهو المطلوب.

الثامن عشر: وهو تنويع في الاستدلال وإن كان معنى ما تقدم وهو أنا نقول لو لم تكن ليلة المولد أفضل من ليلة القدر للزم أحد أمور ثلاثة وهي:

إما تفضيل الملائكة على النبي (ﷺ)، وإما العمل المضاعف، وإما التسوية وكلها ممتنع.

فالأول: فعلى الصحيح المرتضى، والثاني والثالث: فاتفاق وبيان الملازمة.

إن التفضيل في الأول حصل بولادته (ﷺ) وفي الثانية (الورقة 103) إما بنزول الملائكة أو العمل.

التاسع عشر: بعض زمن ليلة المولد وهو زمن ولادته (ﷺ) وكل زمن ولادته (ﷺ) أفضل الأزمنة، فالبعض (يرى) ليلة المولد أفضل بعضها من سائر الأزمنة ففضلت ليلة القدر بهذا الاعتبار.

الحادي والعشرون: أفضل الأزمنة من ولادته (ﷺ) ولا شيء من زمن ولادته (ﷺ) أفضل بليلة القدر، فلا شيء من أفضل الأزمنة بليلة القدر وينعكس إلى قولنا لا شيء من ليلة القدر بأفضل الأزمنة وهذا إبطال الدعم الخصم المغامر.

الورقة 106...

قد جاء خبر يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة وهو ثابت في الصحيح، فدّل على أن يوم الجمعة أفضل الأزمان فضلته ليلة المولد، قلت (الورقة 107)

هذا السؤال مشترك الأزمان بيني وبين من ادعى غير ما ادعيتم لي أن اتبرع فأقول الجواب عنه من أوجه:

الأول: أن الكلام في الليلة لا في اليوم ولا يلزم من كونه أفضل الأيام أن يكون أفضل الليالي.

الثاني: من موجب أفضلية نبينا محمد (ﷺ) هي ولادة آدم منه عليه السلام وقبول توبته وهبوطه إلى الأرض وقيام الساعة فيه، فالمراد بالخيرية وجود هذه الأشياء ووقوعها فيه وإنها لم توجد إلى فيه وأثبت له.

إذا نظرت في هذه الأمور وخبرتها وجدت نور رسول الله (ﷺ) فائض عليها فهو سر وجود آدم بالتوسل به إلى ربه قبلت توبته وقيام الساعة رحمة لأمته لئلا يطول مقامهم ولبثهم تحت الأرض حسبما جاءت بذلك الأخبار الثابتة المأثورة عنه (ﷺ).

الورقة 108...

وقد تقدم الاستدلال غير مرة بهذا على أن ليلة المولد أشرف فإنه إنما أراد أيضًا أفضليتها على سائر الليالي لما اختصت به من العمل فهي أفضل الليالي التي تكثر فيها المشاورات وتتضاعف فيها الأعمال.

الورقة 112...

الفصل الثاني: سمعت شيخنا الإمام أبا موسى ابن الإمام رحمة الله عليه وغيره من مشيخة المغرب يتحدثون فيما أحدث في ليالي المولد في المغرب وما وضعه العزمي في ذلك واختاره وتبعه فيه ولده الفقيه أبو القاسم وهما من الأئمة فاستصوبوه أو استحسنوا مقاصده فيه والقيام بها، وقد كان نقل عن بعض علماء المغرب أفكاره والأظهر في ذلك عندما قاله بعض الفضلاء من علماء المغرب أيضًا، وقد وقع الكلام في ذلك فقال معناه لا شك أن المسلك الذي سلكه العزمي مسلك حسن إلا أن المشتغل في هذه الليلة بالصلاة على النبي (ﷺ) والقيام بإحياء (الورقة 113) سننه ومعونته إليه ومساهمتهم وتعظيم حرفهم والاستكثار من الصدقة وأعمال البر وإغاثة الملهوف وقد... ونصر المظلوم هو أفضل مما سوى ذلك مما أحدث إذ لا يخلو من مزاحم في النية ومفسدة للعمل

أو دخول الشهرة وطريق الحق والسلامة معروف ولا أفضل في هذه الليلة مما ذكرناه من أعمال البر والاستكثار من الصلاة على النبي (ﷺ) ليحظى المستكثر منها ببعض ما ورد في فضلها.

وقد روينا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا ولا تجعلوا قبري عيدًا وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنت**». أخرجه أبو داود.

الورقة 115...

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): «**أيما عبد لم تكن عنده صدقة فليقل في دعائه اللهم صلِّ على محمد عبدك ورسولك، وصلِّ على المؤمنين والمؤمنات**» والأحاديث الواردة في الباب متسعة، وقد أخرجت قديمًا أربعين حديثًا منوعة الإسناد في فضل الصلاة عليه الصلاة والسلام فهي أفضل ما يستعمله المؤمن ليلتذ حين يذكر ما في ظهوره عليه الصلاة والسلام من النعم التي أنعم الله عز وجل بها على مخلوقاته، ونذكر ما خص به عليه الصلاة والسلام منا للصفات الجميلة والأخلاق العظيمة والسير الكريمة ويتذكر ما وقع في تلك الليلة من الآيات البينات والمعجزات والمعجبات وستنحصر حمد الله عز وجل ونشكره الذي لا يغني من بحر شكره على ما هداه إليه من الإسلام وجعله من أمته عليه الصلاة والسلام. ويستغفر الله عز وجل في تقصيره في أداء ما وظفه عليه ونشطه عن المسارعة لتحصيل ما ندبه إليه، فتجتمع يد الحمد والشكر والصلاة على النبي (ﷺ) والاستغفار وتختتم بالدعاء بما يعود عليه من مصالح الدنيا والآخرة فلعل الله ببركة تلك الكريمة أن يتقبل دعاءه لا حرمنا الله من خيره ورحمته بفضله.

يلاحظ من النصوص التاريخية التي ذكرت والتي تضمنت آراء ونظريات الفقهاء وتوجيهاتهم وموقفهم من البذخ والإسراف وممارسة الغناء والطرب في مراسيم ليلة المولد النبوي الشريف وإحيائها في الأندلس والمغرب فهو عمل منكر وبدعة لا توافق على ما ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف والسنة المحمدية، ومن الأفضل والواجب على المسلم أن يلتزم ويقيم الصلوات على الرسول الكريم (ﷺ) ويتصدق على الفقراء والمساكين وأن يعظ الناس بالخطب الدينية والقصائد المستوحاة من الشريعة الإسلامية، كما يحث الناس على

الالتزام بالدين الحنيف وأداء فريضته والاقتداء بسيرة سيد الكائنات وأخلاقه الفاضلة.

تحدثت المصادر الفقهية الأندلسية عن التشريعات الإسلامية حول مراسيم ليلة المولد النبوي الشريف وكيفية إحيائها، ومن ذلك ما ذكره كتاب «فتاوى الإمام الشاطبي» (بنسبة إلى شاطبة الإسبانية Jativo) (ت عام 790هـ) في الوصية الخاصة بإقامة المولد النبوي الشريف المسألة الأولى بقوله: «وهي الوصية بالثلث ليوقف على إقامة ليلة المولد النبوي (ﷺ) فمعلوم أن إقامة المولد على الوصف المعهود بين الناس بدعة محدثة، وكل بدعة ضلالة، فالإنفاق على إقامة البدعة لا يجوز والوصية به غير نافذة، بل يجب على القاضي فسخه ورد الثلث إلى الورثة يقتسمونه فيما بينهم، وأبعد الله الفقراء الذين يطلبونه إنفاذ مثل هذه الوصية».

القصائد الشعرية في ليلة المولد النبوي الشريف:

ومن مراسيم المولد النبوي الشريف في الأندلس والمغرب الإسلامي المدائح المحمدية والقصائد التي تمجّد هذه الليلة المباركة والمناسبة العظيمة عند المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، حيث تضم القصائد أسمى المعاني والكلمات الجميلة المعبرة عن قيمة هذه المناسبة الميمونة، التي تتخللها الصفات النبيلة والأخلاق العالية التي كان يتصف بها ويتحلى بها سيد الكائنات محمد رسول الله (ﷺ).

يتباهى الشعراء ويتبارزون في قصائدهم في عيد ليلة المولد النبوي الشريف في بلاغة المعاني والكلمات التي تستحقها المناسبة الجميلة، وفي تعدد الأبيات التي تضمها القصائد، نقتطف من تلك الأشعار نماذج ونخب رائعة من الأبيات منها:

حدثنا صاحب كتاب «الدر المنظم في مولد النبي المعظم» قال: حدثنا الفقيه المناضل المحدث أبو عبد الله محمد بن موسى القرائي رحمه الله، قال لنا الفقيه الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري رحمه الله وغفر له بمنه قال: من أحسن ما جاء في نسب رسول الله (ﷺ)، ما نظمه: أبو العباس عبد الله بن محمد الناشي في قصيدة مدح بها رسول الله (ﷺ) وهي قوله:

(القصيدة تتضمن 77 بيتًا) وآخرها:

وكـان رسـول الله أكـرم مـنـجـب ... فـي ظـهـور الـطـيـبـيـن الـمـنـاجـب
مـقـابـلـة آبـاؤه أمـهـاتـه ... مـبـرأة مـن فـاصـحـات الـمـثـالـب

وقال ابن العزفي السبتي أيضًا:

وقال الشيخ الفقيه الكاتب الأبدع الأوحد السبتي والعارف الجمة والنفس الأبية الغالبية الهمة أبو عبيد الله بن الخضار الغافقي رحمه الله ونفعه وسندنا إليه عن أبي رحمه الله عن الشيخ الفقيه الراوية التاريخي أبو القاسم بن حبيش الأنصاري في قصيدته الطويلة التي سماها «الابتهاج المناقب ومعراج الحسيب الثاقب»، امتدح فيها النبي (ﷺ) فذكر منها ما يخص النسب الكريم وهو قوله رحمه الله:

أعـلـل بـالأمـثـال نـفـسًـا أعـزهـا ... بـتـقـديـم غـايـاتـي وتـأخـيـر مـذهـب
وهل فضلت من مراكب العشق فضله ... تـبـلـغـنـي أم لإسـمـاع لـمـركـب
وهـل أوردت فـضـل الـرسـول بـطـيـبـة ... فـيـا تـرى أحـشـائـي ويـا طـيـب مـشـرب
وأن امـرءًا وارى الـبـقـيـع عـظـامـه ... لـفـي زمـرة تـلـقـي بـسـهـل ومـرحـب

وخاتمة القصيدة المذكورة التي تضمنت 180 بيتًا، هذه الأبيات:

عـمـري بـالـصـلاة عـلـيـهـم ... وأدأب فـي حـبـي تـهـم كـل مـرآب
إلـيـك.. مـنـهـا وسـيـلـة ... تـنـاجـيـك عـن قـلـب بـحـبـك مـشـرب

أنشد لسان الدين ابن الخطيب الغرناطي في كتابه «الإحاطة في أخبار غرناطة» أبياتًا في المولد النبوي الشريف، إذ قال: «من ذلك قولي في الجناب الكريم النبوي شرفه وهو من أوليات نظمي في ذلك الغرض» مطلعها:

هـل كـنـت تـعـلـم فـي هـبـوب الـريـح ... نـفـسًـا يـؤجـج لاعـج الـتـبـريـج
أهـدتـك مـن مـشـج الـحـجـاز تـحـيـة ... غـاضـت عـرض الـفـجـاج الـفـيـح

وآخرها:

صـلـى الله عـلـيـك مـا هـبـت صـبًـا ... فـهـفـت بـغـصـن فـي الـريـاض مـروح
واسـتـأثـر لـرحـمـن جـل جـلالـه ... عـن خـلـقـه سـر الـروح

وأنشد لسان الدين ابن الخطيب الغرناطي أيضًا للسلطان ملك المغرب (ولعله أبو سالم محمد ابن السلطان عبد الرحمن يعقوب ابن السلطان أبي الحسن

الموحدي (ت768هـ/ 1366م) في ليلة المولد النبوي الكريم في عام 763هـ/ 1361م هذه القصيدة ومطلعها:

تألق نجديًا فاذكرني نجدًا ... وهاج بي الشوق المبرح والوحدا
وميض رأى برد العمامة معقلًا ... فمد يدًا بالتبر أعلمت البردا
تبسم في بحرية قد تجهمت ... فما بذلت وصلًا ولا ضربت وعدًا

آخرها:

ودونكها متى نتيجة فكره ... إذا استرشحت للنظم كانت صفًّا صلدا
ولو تركت مني الليالي صبابة ... لأجهدتها ركضًا وأرهقتها شدا
ولكنه جهد المقل بلغته ... وقد أوضح الأعذار من بلغ الجهدا

أنشد لسان الدين ابن الخطيب الغرناطي في إحاطته قصيدة أخرى للسلطان محمد الخامس الغني بالله السلطان غرناطة بالمشوار الحافل، المتخذ بعد رجوعه إلى الأندلس في بعض ليالي المولد النبوي الشريف مطلعها:

ما على القلب من بعدكم من جناح ... أن يرى طائر بغير جناح
وعلى الشوق أن يشب إذا هـ ... ـب بأنفاسكم نسيم الصباح

خاتمتها:

دمت في عزة ورفعة قدر ... بين مفدى مرفق ومراح
ما تولت دهم الدجية غدوًا ... وجدت خلفهن شهب الصباح

وذكر لسان الدين ابن الخطيب الغرناطي في إحاطته أيضًا أبياتًا في ليلة المولد النبوي الكريم منها هذه الأبيات:

سبق القضاء وأبرم المختوم ... والغيب عنا سره مكتوم
حال الزمان إذا اعتبرت غريبة ... والحال في التحقيق ليس تدوم
والليل سلك درّه ساعاته ... إن حل معقده هوى المنظوم
أكرم برابعه تولت بعد ما ... ثبتت في الصالحات رسوم
ولقد سهرت مفكرًا والبدر في ... بحر السماء مع النجوم يعوم
فحسب شكل البدر أبيض حائمًا ... فوقي يحلق طيره ويحوم

وأنشد القاضي محمد بن ورد الغساني شعرًا في ليلة المولد النبوي الشريف منه:

يا ليلة عظمت بها الأذكار ... وتفتحت من نورها الأنوار
وسرى النسيم بطيبها متأرجًا ... فله تشذا من نفحها معطار

وذكر لسان الدين ابن الخطيب الغرناطي أشعارًا في مدح الرسول الكريم (ﷺ) ليلة ميلاده الشريفة في قصيدة طويلة ضمت 82 بيتًا نذكر منها:

أصغى إلى الوجد لما جد عاتبه ... صب له شغل عمن يعاتبه
لم يعط للصبر من بعد الفراق يدًا ... فضل من ظل إرشادًا يخاطبه
لو لا النوى لم يبت حران مكتئبًا ... يغالب الوجد كتمًا وهو غالبه
يستودع الليل أسرار الغرام وما ... تمليه أشجانه فالدمع كاتبه
لله عصر بشرقي الحمى سمحت ... بالوصل أوقاته لو عاد داهنه

آخرها:

فليهن دين الهدى إذا كنت ناصره ... أمن يواليه أو خوف يجانيه
لا زال ملكك والتأييد يخدمه ... تقضي بخفض مناويه قواطبه
ودمت في نعم تصفو ملابسها ... في ظل عز علا تصفو مشاربه
ثم الصلاة على خير البرية ما ... سارت إليه بمشتاق ركائبه

صنف المؤرخ ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن ت597هـ/ 1200-1201م) كتابًا أسماه بـ «مولد الجوزي» والشهير بالعروس ضمنه أحاديث وأخبارًا وقصائد عن المولد النبوي الشريف ومراسيمها ومكانتها عند المسلمين نقتطف منها هذه النصوص المختارة.

فلما ولد صاحب الناموس بدأ في الحضرة كالعروس بوجه يحكي القمر ظهورًا، وشعر يشبه في سواده ديجورًا، وجبين أطلع منه ضياءً ونورًا وقد أقسى الجمال به قريرًا واضطرب الكون عند ولادته وكان مخمورًا ونشر السعد على الوجود نشورًا:

صبح الهدى ملأ الوجود سرورًا ... لما بدأ وجه الحبيب منيرًا
أطلعت بأشهر الربيع مشرقًا ... قمرًا يفوق مع الكمال بدورًا

شهر الربيع أتى بمولده أحمد ولقد أتانا بالهناء بشيرًا
وترنم الأطيار عند ولادة فرحًا ومال الغصن منه بدورًا
وإلى النسيم مبشرًا ومعصرًا بقدوم أحمد في الأنام نذيرًا
والحور في عرف الجنان تباشرت وقضت بميلاد النبي نذورًا

❁ ❁ ❁

المبحث الرابع
ما قيل في الرسول ﷺ من العلماء الباحثين الغربيين

منذ المبعث المحمدي والعلماء والمفكرون المنصفون في الغرب يركزون على شخصية الرسول (ﷺ) يحاولون تلمس نواحي العظمة فيها، والتعرف على مظاهر القوة التي حباه الله سبحانه وتعالى بها ومن هؤلاء:

1- كارليل:

من هؤلاء المفكرين المنصفين الكاتب الإنجليزي كارليل، الذي أحب البطولة وقام بتتبع أصحابها في كل المجالات، ثم ألف كتابًا بعنوان «الأبطال» أفرد فيه فصلًا كاملًا عن رسول الإسلام، حذّر فيه الناس من تصديق ما يشاع عن الإسلام من أكاذيب، وما يذاع عن نبيّه من أباطيل وتعديات. وقال: لقد ظلّت الرسالة التي جاء بها محمد سراجًا منيرًا لملايين كثيرة من الناس أربعة عشر قرنًا.. فهل يعقل أن تكون هذه الرسالة التي عاشت عليها تلك الملايين وماتت أكذوبة أو خديعة؟؟

ثم سألهم: (هل رأوا رجلًا كاذبًا استطاع أن يخلق دينًا، وأن يتعهده بالنشر على الصورة التي انتشر بها الإسلام؟) ثم يقول: (ما الرسالة التي أداها محمد إلا الصدق والحق، وما كلمته إلى صوت صادق صادر من العالم المجهول... وما هو إلا شهاب أضاء العالم كله... ذلك أمر الله.. . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء).

ثم يتحدث عن رسول الله (ﷺ) فيقول: (لقد أحببت محمدًا لخلو نفسه من الرياء والنفاق، وبراءتها من التصنع والطمع وحب الدنيا، ولقد كان منفردًا بنفسه العظيمة وخالق الكون والكائنات، وقد رأى سر الوجود يسطع أمام عينيه بأحواله ومحاسنه.

لقد كان صوت محمد آتيًا من قلب الطبيعة الصحراوية النقية الطاهرة، ولهذا

دلف من الآذان إلى القلوب، واستقرت كلماته فيها... ولم يكن محمد متكبرًا ولا ذليلًا، ولم يرض بالأوضاع الكاذبة، ولم يتحرك خلف الأوهام الباطلة، ومن مكانه المتواضع وثوبه المرقع خاطب الملوك والقياصرة، موجهًا ومنذرًا ومحذرًا أيضًا... إنه لم يخش في الحق لومة لائم، ولا يقبل ما عرض عليه من مال وجاه وسلطان، وعاش زاهدًا متقشفًا مجتهدًا في الله، عاملًا على نشر دينه، غير عابئ بما يلاقي من أهوال، وما يعترض سبيله من عقبات، حتى مكن الله للدين الحق في الأرض فانتشر وازدهر).

2- لورد هيدلي:

ومن الذين درسوا الإسلام وأشادوا به وقالوا قولة الحق في نبيه الكريم: اللورد هيدلي، الذي كتب: (فكرت وابتهلت أربعين عامًا لكي أصل إلى الحقيقة. ولا بد أن أعترف أن زيارتي للشرق المسلم ملأتني احترامًا للدين المحمدي السلس، الذي يجعل المرء يعبد الله طوال مدة الحياة لا في أيام الأحد فقط. وإني أشكر الله أن هداني للإسلام الذي أصبح حقيقة راسخة في فؤادي، وجعلني ألتقي بسعادة وطمأنينة لم ألتق بها من قبل. لقد كنت في سرداب مظلم، ثم أخرجني الإسلام إلى فسيح من الأرض، تضيئه شمس النهار، فأخذت أستنشق هواء البحر النقي الخالص).

ويتحدث لورد هيدلي عن شخصية محمد بن عبد الله باعتباره المثل الأعلى فيقول: (إن للنبي العربي أخلاقًا قوية متينة، وشخصية وزنت ومحصت واخترت في كل خطوة من خطى حياته، ولا نقص فيها على الإطلاق. وبما أننا في حاجة إلى نموذج كامل يفي باحتياجاتنا في الحياة، فشخصية محمد النبي المقدس تسد تلك الحاجة: فهي مرآة تعكس علينا التعقل الراقي، والسخاء والكرم والشجاعة، والإقدام والصبر والحلم، والوداعة والعفو والتواضع والحياء، وكل الأخلاق الجوهرية التي تكون الإنسانية في أسمى صورها. وإنا لنرى ذلك في شخصيته بألوانه وضاءة).

3- مايكل هارت:

وهذا مايكل هارت... عالم الفضاء الشهير الذي أغرم بالعظمة في الرجال،

وتتبع الخالدين منهم. وقد ألّف كتابًا بعنوان «الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله». ومايكل ليس مسلمًا ولكنه باحث أميركي مسيحي، وقد اختار مائة شخصية من الشخصيات التي تركت أثرًا بارزًا في حياة الإنسانية، واختار الرسول الأعظم محمدًا (ﷺ) على رأس المائة. وهذا اعتراف من الغرب ولا ريب بفضل رسول الله (ﷺ)، وفضل الإسلام على البشرية والحضارة، ولنسمع ما يقول مايكل في كتابه:

(إن محمدًا عليه السلام هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح مطلقًا في المجال الديني والدنيوي فهو دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات، وأصبح قائدًا سياسيًّا وعسكريًّا ودينيًّا. ورغم مرور ثلاثة عشر قرنًا على وفاته فإن أثره لا يزال متجددًا.

وقد استطاع مع المؤمنين بدعوتهم أن يقيموا إمبراطورية واسعة ممتدة من حدود الهند حتى المحيط الأطلسي، وهي أعظم إمبراطورية أقيمت في التاريخ حتى اليوم. وقد نشروا الإسلام في كل بلد دخلوها. والرسول محمد هو المسؤول الأول والأوحد عن إرساء قواعد الإسلام وأوصل الشريعة والسلوك الاجتماعي والأخلاقي وأصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية. كما أن القرآن قد نزل عليه وحده، وفي القرآن وجد المسلمون كل ما يحتاجون إليه في دنياهم وآخرتهم).

4- دكتور جرنييه:

ويتحدث دكتور جرنييه عن سبب إسلامه بسعادة كبيرة ثم يقول: (لقد قرأت الآيات التي تربط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية، وقمت بعمل دراسة عنها، ثم قارنتها بالمعلومات الطبية والصحية والطبيعية التي درستها بالجامعة فوجدت الآيات القرآنية منطبقة عليها تمام الانطباق. ولقد أسلمت لأني تأكدت من أن محمدًا (ﷺ) أتى بالحق الصراح من قبل أن نصل إليه في عصرنا الحديث بأكثر من ألف عام. وأكاد أجزم لو أن كل صاحب فن أو علم قارن بين ما جاء في القرآن الكريم خاصًّا بعلمه أو فنه وبين معلوماته الحديثه- كما فعلت أنا- لدخل في الإسلام كما دخلت إلا من كان معرضًا أو في قلبه مرض).

5- ريني هجينيو:

أو عبد الواحد يحيى كما سمى نفسه بعد إسلامه. أنه يقول: (لقد أردت أن أستعصم بنص إلٰهي مقدس، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ فلم أجد ـ بعد الدراسة الطويلة العميقة المضنية ـ سوى القرآن الكريم. فهو الكتاب الوحيد الذي أقنعني، وأمن على ما جاء في قلبي، ورسول الإسلام هو الرسول الذي أحببته، وسعدت بالسير تحت لوائه، وغمرتني أقواله وأفعاله بالسعادة النفسية والسكينة الروحية. ولولاه (ﷺ) لغرقت الإنسانية في بحار المادية والإلحاد، والانحلال الخلقي والدمار الروحي).

ثم يقول عن الثقافة الإسلامية وأثرها في الغرب: (لقد كانت الثقافة والعلوم الإنسانية منبع نور وهداية، ولولا علماء الإسلام وفلاسفتهم لظل الغربيون يتخبطون في دياجير الجهل والظلام).

6- ألفونس دينييه:

وهذا الفنان المصور العالمي: ألفونس أتين دينييه، الذي اعتنق الإسلام بعد فترات طويلة من التأمل والتفكير، وتسمى باسم نصر الدين، وكان ناصر دين الله، لم يدخر وسعًا في سبيل الدفاع عنه، وتصحيح المفاهيم التي نشرها المستشرقون عن حقيقة الإسلام.

وقد ألّف كتابًا في السيرة النبوية أهداه إلى أرواح الشهداء الذين استشهدوا في الحرب الكبرى، يقول ألفونس: (العقيدة المحمدية لا تقف عقبة في سبيل التفكير... وقد يكون الإنسان مسلمًا صحيح الإسلام في الوقت نفسه حير التفكير).

ويقول: (الدين الإسلامي لم يتخذ فيه الإله شكلًا بشريًا وما إلى ذلك من الأشكال. إن ياهو (إلٰه اليهود) الذي يمثلون به الطهارة ويجعلونه في مظاهر متهالكة مبتذلة. وكذلك نرى الإله في نسخ الأناجيل المصورة. أما الإله في الإسلام فقد حدثنا عنه القرآن، وحدثنا عنه الرسول، ولم يجرؤ مصور أو نحات أن تجري به ريشته أو ينحته إزميل ذلك لأن الله سبحانه وتعالى لا صورة له ولا حدود ولا شبيه له أو مثيل. وهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: 3-4]).

7- تولستوي:

أما تولستوي الكاتب الروسي الكبير فقد ساءه أن يوجه أعداء الإسلام سهامهم إليه وإلى نبيهم الكريم، وكتب يقول: (لا ريب أن هذا النبي من كبار المصلحين، الذين خدموا الإنسانية خدمات جليلة، ويكفيه فخرًا أنه هدى أمته بأكملها إلى نور الحق، وجعلها تجنح إلى السلام، وتكف عن سفك الدماء، كما يكفيه فخرًا أنه فتح الطريق إلى الرقي والتقدم، وهذا عمل جليل لا يقوم به إلا شخص أوتي قوة وحكمة وعلمًا فوق إمكانيات البشر، ولهذا فهو جدير بالتقدير والاحترام والإجلال).

8- رجاء جارودي:

وهذا رجاء جارودي، الذي منّ الله عليه بالإسلام بعد رحلة طويلة قضاها بين الأديان والعقائد والإيديولوجيات المختلفة وعندما درس الإسلام وعرف حقيقته كفر بما عداه؛ صاح معلنًا أنه لم يعد يستطيع الصمت. ثم قرر أن الإسلام هو الدين الحق، وأن فيه الحل الوحيد لإنقاذ البشرية، التي تحتضر في مواجهة المصير المظلم، الذي أوصلتها إليه أديانها البالية وإديولوجياتها الخداعة الفاشلة، ويتحدث جارودي باستفاضة عن الإسلام ومستقبل الإنسانية ويقول: (إن الحضارة الجديدة تنبع من الإسلام عقيدة ومنهجًا وحياة).

وينتقل إلى الحديث عن سماحة الإسلام فيقول: (لقد اعترف بأهل الكتاب ـ أصحاب التوراة والإنجيل ـ وترك لهم حرية الاختيار ما بين ما هم عليه وبين الدخول في الإسلام. والرسول محمد (ﷺ) يقول: «لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى»؛ فالناس يتمايزون في الإسلام بالتقوى، ويتفاضلون بالعمل الصالح، لا بالغنى والجاه والحسب والنسب ـ والكل أمام الله سواء ـ فلا طبقية ولا أمم مختارة أو عناصر متميزة. فالإسلام دين الإخاء والتكامل الاجتماعي والمساواة في أجمل صورها.

ولم يكن الإسلام في حاجة إلى القوة أو السلاح لكي ينتشر، لأن طبيعته وأحكامه وسماحته والقدوة الحسنة التي كانها رسوله، قد فتحت الطريق إلى

قلوب الناس. ويشير جارودي إلى الحديث النبوي الشريف: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» ـ وهو النفس ضد أهوائها ونزواتها، كالظلم والطمع والأنانية والأثرة، والضعف وحب المال والتكالب عليه. ثم يقول: إن هذا الموقف النبوي العظيم درس هام لأولئك الثوريين الذي يريدون تغيير كل شيء إلا أنفسهم.

ثم يستعرض جارودي على الحديث الشريف: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه**». والحديث الشريف: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره**». والحديث الشريف: «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**». والحديث الشريف: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا**»، ثم يقول الجارودي: (هذه الأحاديث دستور عام ينبغي على المسلمين أن يلتزموا بها في حياتهم، باعتبارهم أمة ذات أهداف كريمة على أسس قويمة، فهو دستور يصون حقوقهم فيما بينهم، ويرمي إلى قيام صداقة ومحبة صادقة قوية توثق علاقة المؤمن بالمؤمن، وتجعلهم بحق كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا).

9- ريونباسورت سميث:

يقول هذا العالم، وهو أستاذ بجامعة أكسفورد في محاضرة ألقاها بعنوان: «محمد والمحمدية» 1874م: (لا نجد فيما كتبه المؤرخون الأولون عن محمد ورسالته أساطير ولا أوهامًا ولا مستحيلات... كل شيء واضح وضوح النهار.. وكأنه الشمس في الضحى يتبين تحت أشعتها كل شيء... والعجيب أنه لا يوجد شخصية علمية كتب عنها طول العصور ما كتب عن محمد رسول الإسلام).

10- مرجليوت:

وذكر مرجليوت في كتابه «محمد» المطبوع 1905م في سلسلة عظماء الأمم: (إن الذين كتبوا في سيرة محمد لا ينتهي ذكر أسمائهم، وإنهم يرون من الشرف للكاتب أن ينال المجد بتبوئه مجلسًا بين الذين كتبوا عن سيرة هذا الرسول). وتذكر مجلة المقتبس ـ التي كان يُصدرها محمد كرد علي منذ أكثر من ثمانين عامًا ـ أنها أحصت ما ألّف في السيرة النبوية بلغات أوروبا فبلغ ألفًا

وثلاثمائة كتاب: فكيف بما ألّف خلال الثمانين عامًا الأخيرة بمختلف اللغات وباللغة العربية؟

سيدي يا رسول الله.

يا أشرف المرسلين وخاتم النبيين... يا من عليك صلى الله وملائكته أجمعون... كيف السبيل إلى إحصاء وجوه العظمة في شخصيتك؟

إن لكل عظيم في هذه الدنيا وجهًا من أوجه العظمة يتميز به. وأنت قد تميزت بكل وجوه العظمة... فكنت الكمال المطلق في الحدود الإنسانية... وكنت المصطفى والمتفوق على الجميع... ومهما حاول ويحاول العلماء والمفكرون فلن يستطيعوا إحصاء جوانب العظمة في شخصيتك.

الدكتور زويمر ـ كندا:

(إن محمدًا كان مصلحًا قديرًا وبليغًا فصيحًا وجريئًا مغوارًا ومفكرًا عظيمًا).

11- سانت هيلر ـ ألمانيا:

(إن في شخصية محمد صفتين من أجلِّ الصفات التي تحملها النفسية البشرية وهما العدالة والرحمة).

12- إدوارد مونتة ـ فرنسا:

(عرف محمد بخلوص النية والملاطفة وإنصاف في الحكم ونزاهة التعبير عن الفكر والتحقق).

13- لامارتين ـ فرنسا:

(لم يبلغ أي إنسان من مراتب الكمال مثلما بلغ محمد فقد هدم المعتقدات الباطلة التي تتخذ واسطة بين الخلق والمخلوق).

14- هانز كونج ـ سويسرا:

(لا يمكننا إنكار أن محمدًا هو المرشد القائد إلى طريق النجاة لأنه نبي حقيقي بمعنى الكلمة).

15- غوته ـ المانيا:

(بحثت في التاريخ عن مثل أعلى للإنسان فوجدته في النبي العربي محمد).

16- أنيماري شيمل:

(لقد شرع محمد واحدة من أكثر الحركات الدينية نجاحًا على الأرض).

17- توماس كارليل:

(إنما محمد شهاب قد أضاء العالم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء).

18- كارل ماركس:

(إن هذا النبي افتتح برسالته عصرًا جديدًا للعلم والنور والمعرفة).

19- جورج برناردشو:

(يجب أن يدعى محمدًا منقذًا للإنسانية).

20- ليوتولستوي- روسيا:

(إن شريعة محمد ستسود العالم لانسجامها مع العقل والحكمة).

21- المهاتما غاندي ـ الهند:

(لقد كان محمد ذلك الرجل الذي ملك بدون نزاع قلوب ملايين البشر).

* * *

الفصل الثالث
الإنشاد ليلة المولد النبوي الشريف

المبحث الأول: القصائد الشعرية في ليلة المولد النبوي الشريف

اهتم أهل المغرب الإسلامي بإحياء الاحتفال بذكرى ليلة المولد النبوي الشريف، وأنبرى لذلك كثيرًا من الشعراء والأدباء فألّفوا كثيرًا من القصائد في ذكرى المولد الشريف نذكر قسمًا منها لنبين مدى اهتمام شعراء المغرب الإسلامي بهذا المولد.

قال الأعشى ميمون بن قيس في ليلة المولد النبوي المعطر بنوره شعرًا:

ألـم تـغـتـمـض عـيـنـاك لـيـلـة أرمـدًا	وبـت كـمـا بـات الـسـلـيـم مـسـهـدًا
وآلـيــت لا آوي لــهــا مــن كــلالــة	ولا مـن حـفـى حـتـى تـلاقـي مـحـمـدًا
نــبــيًّــا يــرى مــا لا تــرون وذكــره	أغـار لـعـمـري فـي الـبـلاد وأنـجـدًا[1]

الشاعر الأعشى نصراني ولم يسلم لكنه أحب الرسول العظيم، كما أنشد المولد النبوي الشريف الشعراء في العصر الأموي والعباسي، أمثال الكميت والسيد الحميري ودعبل الخزاعي، ومروان بن أبي حفصة، وأبي دلامة زيد بن الجون، ومطيع بن إياس ومسلم الخاسر وغيرهم كثيرون.

حرص أهل المغرب الإسلامي على إحياء ليلة المولد النبوي الشريف وأقاموا له الاحتفال بالقصائد والشعر والخطب والموشحات والمدائح النبوية والزجل الأندلسي ومنهم الفقيه المتصوف محيي الدين ابن عربي المرسي، وأبي الحسن الشاذلي وأبي العباس المرسي وأحمد البدوي.

اهتم الشيخ أبو محمد عبد الله بن يحيى الشقراطيسي التوزري (ت466هـ)

---

(1) الأب شيخو/ شعراء النصرانية قبل الإسلام، ط2، ص358 ينظر: عباس الجراري، من أدب الدعوة الإسلامية، دار الثقافة (الدار البيضاء، 1974م)، ص36.

في نظم قصيدة جميلة ورائعة المعاني المسماة «معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب» في مدينة مراكش للأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين وفي مطلعها يقول:

إلـيـك فـهـمـي والـفـؤاد بـيـثـرب ... وإن عاقني عن مطلع الوحي مغربي

ومطلع القصيدة الشقراطيسية:

الـحـمـد لله مـنـا بـاعـث الـرسـل ... هـدى بـأحـمـد مـنـا أحـمـد الـسـبـل

صنف الأديب المؤرخ ابن دحية الكلبي البلنسي الأندلسي كتابًا موسومًا بـ«التنوير في مولد السراج المنير» للملك مظفر الدين ابن زين الدين حاكم إربل أثناء مروره متوجهًا إلى خراسان سنة 622هـ، إذ كان الملك مولعًا بإحياء وإقامة احتفال ليلة المولد النبوي الشريف[1].

اهتم الموحدون في المغرب والأندلس بإقامة ليلة المولد النبوي الشريف والاحتفال بها للخليفة المرتضى، كما يذكر لنا المؤرخ ابن عذاري المراكشي (ت بعد 712هـ) بقوله:

كان يقوم بليلة المولد خير قيام ويفيض فيه الخير والإنعام، وكان أشار له بذلك الفقيه أبو القاسم العزفي لأنه لما ألّف كتابه ـ «الدرر المنظم في مولد النبي المعظم»، بعث به إليه وأشار بذلك الرأي عليه[2].

حرص المرينيون في المغرب والأندلس على الاحتفال في ليلة المولد النبوي المعظم بعناية فائقة، إذ نجد الرحالة الحسن الوزان المعروف بليون الأفريقي ذكر في كتابه «وصف أفريقيا»[3] أكد على أن الشعراء الشعبيين في العهد المريني كانوا يتبارون لإظهار براعتهم الشعرية في مناسبة ذكرى المولد النبوي حيث يتجمعون صباح يوم العيد في الميدان الرئيسي ويعتلون المنصة واحدًا تلو

(1) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، طبعة بولاق، ج1/ 481.

(2) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. طبعة معهد مولاي الحسن/ الرباط، ج3/ 452.

(3) وصف أفريقيا، تحقيق: أدرين ماسونيفي، باريس 1956م، ص214- 215.
Deseription de l’Afique (AdrienMaisonneuve) (Paris 1956) pp 214-5.

الآخر لإلقاء أشعارهم وقد تجمهر عليهم الناس. ثم ينصب أميرًا للشعراء من أحرز منهم قصب السبق، ويذكر أن السلطان المريني كان يقيم حفلًا بهذه المناسبة يستدعي له رجال العلم والأدب، وأن الشعراء كانوا يلقون القصائد أمامه فينعم على الفائز الأول بمائة دينار وفرس ووصيف وحلته التي يكون لابسًا في هذا اليوم ويمنح سائر الشعراء خمسين دينارًا لكل واحد كما احتفل السعديين في المغرب بليلة المولد النبوي الشريف في عصر المنصور، وقد تحدث لنا الفشتالي بإسهاب في كتابه «مناهل الصفا»[1]، وقد تطورت مراسيم الاحتفال بالمولد المنير في المغرب الإسلامي في ظل ملوك الدولة العلوية كما يذكر المؤرخ ابن زيدان في كتابه «العز والصولة» من موائد الطعام وعروض الفروسية والقصائد الشعرية والمدائح النبوية والمبارزات وارتداء الأزياء المنقوشة البهيجة في ظل احتفال فخم مهيب.

أما قصيدة «مولد النور» للغالي الدمناتي، ومطلعها:

أبديت باسم المولى نغم الغني الستار　　باسمو نستفتح يا صاح في أشعاري

أورد الغالي الدمناتي قصيدة المعجزات التي ظهرت مباشرة أثر ولادة الرسول الكريم (ﷺ) مثل اهتزاز إيوان كسرى وسقوط شرفاته الأربع عشرة وخمود نار فارس التي كانت موقدة مدة ألف عام منها:

حين اتزاد الرسول طه بحر العلم　　ظهرت من غير شك للناس اعلايم
منها كسرى اهتز إيوانه واغتم　　من بعد ملاكتوا بقى حايرهايم
وأشرارفو من ابنيه عادوا إله اردم　　ربعا عشر كيف قالوا كمن عالم
بها كسرى أبقى أ ضمير ومتفاكم
أنا فارس خمدت يومًا أخلاق لحليم　　بعد كانت موقودًا ألف علم بتمام

إن الشعراء في الغرب الإسلامي كان يربطون بين مديح الرسول الكريم (ﷺ) وبين الواقع، على حد ما نقرأ للطاهر الإيفراني في مولده أنشأها سنة 1335هـ،

---

(1) المطبعة الملكية- الرباط ج1/ 172.

فقد قال من جملة أبيات يخاطب بها نبينا العظيم:

وحط بنصرك جيش المؤمنين ودا   فع عن حمى الدين حزب أهل الحاد
وجد بحرمتك العظمى وجاهد عند   الله يا سيدي بفضل انجاد
ودمر الكافرين المعتمدين بإذ   ن الله تدمير إخوانهم عاد

حاول الشعراء إحياء الماضي وربطه بالحاضر واستحضار التاريخ للرسالة المحمدية وظهور الإسلام والإشادة بالمواقف البطولية الجهادية لنشر الإسلام وقد تجسد ذلك في مولديات الفشتالي[1] التي يقول في أولها:

هم سلبوني الصبر والصبر من شأني   وهم حرموا من لذة الغمض أجفاني

حاول الفشتالي بعد الثناء على الرسول العظيم (ﷺ) أن يمدح الخليفة المنصور الموحدي بهذا البيت:

إذا صدك عن زوارك البأس والعنا   فجود ابنك المنصور أحمد أغناني

انتهز الشعراء المداحون مناسبة ليلة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف لكسب رضى وهدايا الحكام بربط التهاني ومدح الملوك مثل موشح ابن زاكور[2] في مدح المولى إسماعيل، ننقل من قصيدته هذا الأبيات (الدور):

حق الهنا والسرور   مدى الدهور   بمولد المختار
المصطفى بدر البدور   شافي الصدور   بالنور والأسرار
وبابنه بحر البحور   در النحور   معفر الأشرار
من قد حكى يوم الكفاح   بين الرماح   ليث الشرى في الغيل
عين الرشاد والصلاح   قطب الفلاح   مولاي إسماعيل

قام ابن إدريس في ربط الإشادة بليلة المولد النبوي الشريف في مدح المولى سليمان والمولى عبد الرحمن، كما فعل اكنسوس الذي أشاد في مولدياته بهذا

(1) الناصري السلاوي/ «الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى» (طبعة الدار البيضاء) ج5/ 158.

(2) ينظر: في ديوانه «الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتفى القريض» مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 357ك.

السلطان مادحًا سلطانه، ولا بد من التعرف إلى ديوان «اليمن الوافر الوفي في امتداح الجناب اليوسفي»[1].

استمرت فرصة الاحتفال بليلة المولد النبوي الشريف في مدح الحكام لكسب المال والرضى والتعظيم، إذ جمع عبد الرحمن بن زيدان المغربي قصائد المولد المنير التي قيلت في عهد المولى يوسف، وشعراؤها كثيرون، في طليعتهم محمد بو جندار، ومحمد غريط، وأحمد النميشي، وعبد الله القباج، والعباس الشرافي، ومحمد السليماني، وأحمد سكيرج، وأحمد بن المواز، ومحمد الجزولي، وابن زيدان وغيرهم[2].

قال الأديب العلامة البارع المكثر، أبو عبد الله سيدي محمد بن علي بن ياسين الهوزال في بعض الموالد الشريفة[3]:

يا حبذا ريح أتاك نسيمها	ولديه من أخبارهم مكتومها
أهداه من سلع بريق لامع	فانصب من نثر الدموع نظيمها
فاحت به نفحات رملة عالج	بشذا عريب باللوا تخييمها
ينبيك عن مسراه فجر باسم	بحديث أشواق شواك أليمها
يا ساكنًا تلعات جرعاء الحما	فربا العذيب طعينها ومقيمها
هل لي إلى تلك المرابع عودة	تشفي شجونًا في حشاي سمومها
بأب عشيات هنالك تزدهي	حسنًا، ويعبق نشرها وشميمها
بيوانع عين سقام جفونها	سقم الجوانح لا يبل سقيمها

(1) طبع بمطبعة المكينة المخزنية (فاس 1342هـ).

(2) ينظر: مجلة (دعوة الحق) المغربية، العدد 8، السنة 10، ونو 1967م. ومقالة عباس الجراري، المولد النبوي في الأدب المغربي، مجلة المناهل المغربية 1397هـ/ 1977م (محاضرة في بلدية مراكش مساء الجمعة 13 ربيع الأول 1397هـ).

(3) روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، أحمد ابن محمد المقري التلمساني، ط2، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة المكتبة الرباط 1403هـ/ 1983م.

غيد تشب على القلوب غرامها ... حتى يذوب غشاؤها وصميمها
من لي بمن حل العذيب ودونه ... أعلام نجد سهلها وحزونها
ومهامه لو كلفت بسلوكها ... ريح لكل بليلها وسمومها
هل من خوانف مهريات صلب ... أخفافها ولحومها وأديمها
وقف على أسرا السرا أرقالها ... وذميلها وعنيفها ورسيمها
تسم المزورات المجاهل فاغتدت ... بزلالها أكامهن وكومها
حتى نشق الدرب فوق ظهورها ... ويسيل في بطن المسيل سعومها
وتنيخ بالبطحا فيحطم كل ما ... حطمت عليهن النفوس حطيمها
وتصب في تلك الجمار مدامعا ... تطفى لظى حجم القلوب جحيمها
وتعرفت عرفاتها وحراؤها ... شوقي وزمزم والصفا ورسومها
وأميط عند المشعرين كليهما ... شعري وميط عن القلوب همومها
فأكون ممن قد أجاب ولم ين ... لما دعا للبيت إبراهيمها
وأرى بروقا موشمات موهنا ... من نحو طيبة لا أزال أشيمها
لاحت فزمت للرحيل رواحل ... يحكى وشيك وميضهن طيمها
تخوى بنا في كل مرة ضحضح ... والآل يخفضها به ويقيمها
حتى وردن بنا العقيق فراقها ... بتلاع هاتيك الربا تنومها
وتنسمت نفحات تربة من به ... طابت أباطح طيبة ونسيمها
وتلألأت أنواره فسمت لنا ... غرر طوى حجب الضلال نجومها
قبب حوت سر الوجود ومن له ... وجدت فراديس العلا ونعيمها
من تنجلي يوم الجزاء بجاهه ... عن أوجه الرسل الكرام غمومها
فخليلها ألجا لأحمد قومه ... يبغي الجوار، وروحها وكليمها
من أفصح الحجر الأصم بصدقه ... وأجابه ذئب الفلاة وريمها
وسقى وأطعمها كتائب جيشه ... صاعًا فأشبع هيمها ونهيمها
والبدر منشق لبعثته كما ... خمدت لفارس نارها وضريمها
قسمًا بساطع نوره أن حم لي ... زور لتربه الكريمة خيمها

لأعفرن جبن وجهي لاثمًا ... لثرا رسوم لا يمل لثومها
لمعالم جاست خلال ديارها ... أي ملائكة السماء تسيمها
آيات وحي أحكمت وأتى بها ... مثوى الأمانة روحها وحميمها
ما زال روح الله يعبق عرفه ... بحمى مدينته المنيع حريمها
وصلاته أبدًا يضاعفها له ... حتى القيامة لا يزال يديمها
وأدام تأييدًا لوارث مجده ... أسنا الخلائف فخرها وعظيمها
ملك نمته دوحة نبوية ... وسمت به أقيالها وقرومها
شمسية أحسابها وبهاؤها ... بدرية أنسابها وأرومها
سهلية رحبية أخلاقها ... جبلية إناتها وحلومها
مضرية فهرية مرية ... أسنا مناسب خندف وصميمها
أقمار مجد في مطالع سؤدد ... كشفت بهم الخطوب وشيمها
أعلام فخر سودت هضباتها ... علما نزار قيسها وتميمها
لم تاب سؤددهم أباة ربيعة ... بكر وتغلب ذهلها وحشومها
يمن بن قحطان عشت أذواءها ... أضواء خندف فاستنار بهيمها
نسب تهز به قصي عطفها ... تيهًا وهاشمها كذا مخزومها
وتفرع النور المبين محمد ... من هاشم أرج الأصول كريمها
ونما لنا المنصور فهو سليله ... وأمام أمته فنعم مسيمها
وأتى به المهدى فارع نبعة ... ينبوع عذب المكرمات نديمها
تتفيأ الآنام وارف ظلها ... وتصوب فيهم بالمواهب ديمها
وافى أبو العباس فانتشرت به ... أغصانها وظلالها وغيومها
حتى أعاد لنا خلافة هاشم ... موطودة أكنافها ورسومها
مخضرة عرصاتها قد فوفت ... تلع المنا صمعاؤها وجميمها
لا زال منه للبرية سائس ... يقظان في مهد الأمان ينيمها
وغدت معاصم المواسم تزدهي ... بحلا محاسنه ودام يقيمها

ومن ذلك أيضًا قول الأديب المؤرخ أبي عبد الله محمد بن يعقوب رحمه الله من قصيدة:

حديث الركب ريحاني وراحي … إلى ذكر الحما سكن ارتياحي
أدر لي من حديثهم كؤوسا … ففيها من شفا هذي الجراح
وأطنب في أذكار عهود ليلى … تعاودها المساء مع الصباح
يحن القلب إن ذكرت مغان … كما حن الشجاع إلى الكفاح
سعيت لتبلغ الرضوان منها … وقد وضح الصدود من الرداح

وهي طويلة تركتها اختصارًا، وآخرها:

إذا اقترعت بمحضركم نزار … فحظكم المعلى من قداح

وما قيل في الموالد النبوية التي احتفل لها هذا الخليفة أبو العباس المنصور الموحدي - أيده الله - كثيرة لا يمكن حصرها.

فإذا فرغ الفقهاء من إنشاد قصائدهم أتي بأنواع الطعام التي لم يسمع قط بها، فإذا قضى الناس إربهم منها رفعت وأتى بغيرها، ويؤتى في آخر ذلك بالكوامخ(1) ونحوها التي من شأنها أن تستعمل أخيرًا. فإذا فرغ منها أتي بصحاف كبيرة يحمل الواحدة منها جماعة كثيرة من الرجال فيها اللوز المقشر بالسكر، فيأكلون منها أيضًا، ثم بعد ذلك تنشر على المسمعين(2) فيتناهبونها، ومولانا نصره الله على أريكة ملكه، وهم بمرأى منه ومسمع، فإذا قضوا إربًا من ذلك شرع نصره الله في الدعاء والناس يؤمّنون على دعائه بنيات صادقة، ثم ينصرفون وكلهم شاكر آلاءه ـ نصره الله ـ داع له بدوام النصر.

ومن عادته ـ نصره الله ـ في الميلاد النبوي أن تصنع له شموع(3) أعظم من الأسطوانات يطاف بها في البلد، ومعها الآلات، وجميع أهل الحضرة قد جاؤوا

(1) كامخ: أدام يؤتدم به، وخصه بعضهم بالمخللات التي تستعمل لتشهي الطعام.
(2) المنشدون، والسماع الغناء والإنشاد، وهو في عرف المغاربة خاص بإنشاد المدائح النبوية، والموشحات الدينية.
(3) ما زالت عادة صنع هذه الشموع العظيمة والطواف بها ليلة المولد النبوي- موجودة إلى الآن بمدينة سلا.

لينظروا إليها، وذلك اليوم الذي يطاف بها عيد عظيم عندهم وحق لهم ذلك، فإذا وصلوا بها إلى قصر الخلافة (أدخلوها إلى) المشور[1] العلى، وقد اتخذت لها آلات عظيمة من النحاس المحكم الصنعة، فتجعل على تلك الآلات، فترى صعدًا في السماء كالمنارة.

وفي سابع الميلاد يذهب بتلك الشموع إلى ضريح والده أمير المؤمنين المهدى بالله رضي الله عنه، فيأتي أيضًا أولئك المسمعون إلى هذا الضريح الذي حل به أمير المؤمنين مولانا المهدي بالله رضي الله عنه، فيذكرون هنالك أيضًا، ويحضر أولاد مولانا أمير المؤمنين ـ نصره الله ـ ويحشر الناس إلى ذلك، ثم يدعو المسمعين ـ نصره الله ـ ليلًا إلى قصره مع خواصه، فإذا فرغوا مما هم بصدده، نثرت عليهم الفضة فيتناهبونها بين يديه ـ نصره الله ـ، فمنهم من ينهب ما يكون فيه غناه، وبعد ذلك يذهبون إلى الدور التي أعدت لهم، هذا كله والجرايات السلطانية تعمهم كلهم، ثم يأمر نصره الله لكل واحد منهم بكساء وجوائز، كل على قدره، فيذهبون وكلهم راض. أخبرني بعضهم أنه قد ينوب الواحد منهم من ذلك الأربعة آلاف ونحوها، هكذا فعله نصره الله في الميلاد النبوي، فالله تعالى يجعل الملك فيه وفي عقبه أبديًا، آمين، وبالله تعالى التوفيق.

ومن مآثره ـ نصره الله ـ التي اختص بها ولم يشارك فيها إكرامه للفقهاء، لا سيما الوافدين على مقامه من البلاد الشاسعة، فتعم جميعهم آلاؤه الواسعة، ولذلك تجدهم قد وفدوا عليه من أقاصي الأرض كالشام والعراق ومصر والحجاز وغيرها، ومن غريب ذلك أنه اجتمع يومًا بين يديه ـ نصره الله ـ ثلاثة أعلام، كل واحد من أهل المدن الثلاث التي تشد إليها الرحال، أحدهم من مدينة النبي (ﷺ)، والآخر من مكة زادها الله تشريفًا، والثالث خليلي من بيت المقدس يقال له إمام الدين، فألقى في خاطر الخليلي المذكور ما اتفق من اجتماعهم في حضرة مولانا نصره الله، فأنشأ بيتين في الحال وقام على قدميه وأنشدهما أمير المؤمنين نصره الله وهما:

إن أمير المؤمنين أحمد بحر الندى وفضله لا يجحد

---

(1) ساحة مجاورة لأحد القصور الملكية (مغربية).

فمكة وطيبة أهلهما والمسجد الأقصى بذاك شهدوا

ومن الذين كتبوا الشعر في هذه المناسبة، ما ألفه الفقيه أبو عبد الله محمد بن الحسن بن يوسف بن الحسن بن حبيش اللخمي المرسي[1]:

صحبت الليالي فانجلى لي سرها متى تخدع المشتاق لا درها
فيذهب أحلاها ويبقى أمرها أعلل بالآمال نفسًا أغرها
بتقديم غاياتي وتأخير مذهبي

أجل مرادي لو تساعد أسعدي حنين ركابي نحو حاد مغرد
ولا حاجز دون الحجاز لمقصدي وديني على الأيام زورة أحمد
فهل ينقضي ديني ويقرب مطلبي

متى تسعد المشتاق بالقرب رحلة تقابل فيها للمدينة قبلة
وهل تشتري بالروح في الترب قبلة وهل بقيت من مركب العمر فضله
تبلغني أم لا بلاغ لمركبي

وهل يشتفي من مكة أهل غيبة وهل وقفة في باب أبناء شيبة
أرجى الرضى فيه بتعفير شيبة وهل أردن فضل الرسول بطيبة
فيا برد أحشائي ويا طيب مشربي

مغان تجير المذنبين بجاهها غدت جنة إن لم تكنها تضاهها
جرى ضرب بالمسك بين رداها ألا ليت زادي شربة من مياهها
وهل مثلها ريا لغلة مذنب

فليت الصبا ركب بروحي سائر لأرض ثواها ناصر ومهاجر
وليت ثراها إثمد لي عاطر ويا ليتني فيها إلى الله صائر
بقلب عن الإيمان غير مقلب

لقد فاز من أمضى القضاء اعتزامه فطنب في دار الرسول خيامه
وطيب محياه بها وحمامه وإن امرءًا وارى البقيع عظامه
لفي زمرة تلقى بأهل ومرحب

(1) المقري ـ أزهار الرياض في أخبار عياض ج5 ص135.

أجلّ بلاد الله مبدأ ومحضرا بها اختار للمختار قبرا ومنبرا
فمن مات فيها بالشهادة بشرا وفي ذمة من خير من وطئ الثرى
ومن يعتلقه حبله لا يعذب

تناسمني للشوق أعطر نسمة وتشرق لي بالشرق أنوار رحمة
فأقضي بهم أحيا بهمة وما لي لا أشري الجنان بعزمة
يهون عليها كل طام وسبسب

عناني بيسرى والقناة بأيمن وعضبي أنيسي والتنوفة موطني
فما لي إذا أمضيت عزمي ينثني وماذا الذي يثني عناني وإنسي
لجواب آفاق كثير التقلب

أيفنى كذا عمري وأمري غمة وما الغدر- والأعذار في الحب تهمة
أروع فإن الصب بالشوق بهمة أفقر ففي كفى لله نعمة
وبين فقد فارقت قبل- بنى أبي

تعطشت والحجاج من زمزم ارتوت ونالت- على رغم النوى- كل ما نوت
فما لي لا أطوي من البيد ما طوت وقد مرنت نفسي على البعد وانطوت
على مثل حد السمهري المذرب

أوامر سلطان الهوى كم أطعتها وحملت نفسي فرقة ما استطعتها
فكم واجبات للتقى قد أضعتها وكم غربة في غير حق قطعتها
فهلا لذات الله كان تغربي

إذا أحسن التأويل بي متجاوز فأيسر عيب في أني عاجز
أذو الصدق هالته السرى والمفاوز وكم فاز دوني بالذي رمت فائز؟
وأخطأني ما ناله من تقرب

أحب وفود الله لو كنت وافدا أو دعهم جمعا وأرجع واحدا
أحرض من يسري وأخلد حائدا أراه وأهوى فعله البر قاعدا
فيا قعدي البر قم فتلبب

لنفسي بتأميل البقاء اعتذارها وهبها تبقى والرجاء اغترارها

فأين إلى قصد الحبيب بدارها أماني قد أفنى الشباب انتظارها
وكيف بما أعيا الشباب لا شيب

خبأت لدهري صولة ابن مكدم فألوت بحملي غربة ابن محلم
وللوخط في فودى فتك ابن ملجم وقد كنت أسرى في الظلام بأدهم
فقد صرت أغدو في الصباح بأشهب

بمغترب التغريب طال توطني وفي بلد التبليد ضاع تفطني
ولا منقذ من بحر يغطني فمن لي وأنى لي بريح تحطني
إلى ذروة البيت الكريم المطنب

إلى المصطفى للبعث من خير محتد إلى المعتلى للقرب أرفع مصعد
إلى الشافع المنجى من النار في غد إلى الهاشمي الأبطحي محمد
إلى خاتم الرسل المكين المقرب

إلى المقتدى حتى المعاد بهديه إلى المرتقى لله مرقى نجيه
إلى صاحب الحوض المغيث بسقيه إلى صفوة الله الأمين لوحيه
أبي القاسم الهادي إلى خير مشعب

إلى من له الإعجاز يعجز عده إلى من رآه البدر فانشق خده
إلى من إسرافيل وجبريل جنده إلى ابن الذبيحين الذي صيغ مجده
ولما تصغ شمس ولا بدر غيهب

إلى من تدانى قاب قوسين إذ سرى إلى سامع النجوى بلا واسط يرى
إلى المجتبى في الغيب أكبر أكبرا إلى المنتقى من عهد آدم في الذرى
يردد في سر الصريح المهذب

إلى مغرق الإسهاب في بحر نعته إلى من تهدى كل هاد بسمته
إلى من تمنى الرسل إدراك وقته إلى من تولى الله تطهير بيته
وعصمته من كل عيص مؤتشب

إلى خير مبعوث إلى خير أمة حبته يد التمكين أوفر قسمة
وحفته في الأصلاب ألطاف عصمة فجاء بريء العرض من كل وصمة
فما شئت من أم حصان ومن أب

كفاه من الرحمن مدحا مصرحا بشرح «ألم نشرح» وإيضاح «والضحى»
فقد أفحم القرآن من قال مفصحا كروض الربى كالشمس في رونق الضحى
كناشئ ماء المزن قبل التصوب

غفرنا به للدهر كل إساءة جلا غيهب الدنيا بأبهى إضاءة
كسا أوجه الأيام كل وضاءة عليه من الرحمن عين كلاءة
تجنبه إلمام كل مجنب

تقدس بدءا من شعوب جليلة إلى منتهاها من أعز فصيلة
فما مر إلا في طريق فضيلة إذا أعرضت أعراقه عن قبيلة
فما أعرضت إلا لأمر مغيب

ولا طبعت إلا على البأس والندى ولا رضيت إلا إلى الخلد مصعدا
ولا عمرت إلا رباطا ومسجدًا ولا عبرت إلا على مسلك الهدى
ولا عثرت إلا على كل طيب

فينمي حباه الله أنمى صلاته لكل سرى ساد بين سراته
بعالي معاليه وسامي سماته فمن مثل عبد الله خير لذاته
وآمنة في خير ضنء ومنصب

كريمة وهب واهبًا كل بدرة نمت في كمام المجد أبهج زهرة
ولاحت بأفق السعد أشرق زهرة إذا اتصلت جاءتك أفلاذ زهرة
كأسد الشرى من كل أشوس أغلب

فلله بدر قد جلا كل حالك لإنجابه أنجى به كل هالك
فما مثل ذاك النور هاد لسالك ولا خال إلا دون سعد بن مالك
ولو كان في عليا معد ويعرب

سجايا يا رسول الله نفسي لها الفدا عراب لأحباب عذاب على العدى
فما السحب إن أهدى وما الشهب إن هدى ومن ذا له جد كشيبة ذي الندى
وساقي الحجيج بين شرق ومغرب

مليك البرايا غير أن لم يبايعوا فأهلا بمرضى الفعال المتابع
وسهلا بمسموع المقال مطاوع سؤدد البطحاء غير مدافع

وحرمة ما بين الصفا والمحصب

رئيس قريش عند سلم وغزوة بظل لواء أو بمجلس ندوة
يفض لجيش الحبش أوثق عروة أبو الحارث السامي إلى كل ذروة
يقصر عن إدراكها كل كوكب

رأوا بركات في كراه ونبهه وبدلهم عشر الورود برفهه
وجاد به دهر بخيل بشبهه ونافره حرب فكب لوجهه
وقد كان لولا جوده فوق مرقب

أضاف لكسب الحمد ميراث جلة وأضفى من الأمداح أسبغ حلة
ولما نوى صهرا بأشرف حلة أتيحت له خير الفواطم والتي
أتيح لها في المجد خير مركب

فما على من الحق أوجبت بما من أبى خير البرية أنجبت
لسيد آل الله طرا تقربت عقيلة مخزوم وعمران فاحتبت
على خير مولود وأكرم محتب

لقد مهدت خيرا على مهدها ربي رضية أخلاق سنية مذهب
سرية أعراق عليه منصب وطيبة حمت لأطهر طيب
مطيبة زفت لكفء مطيب

تميم دار الأمن أهل خيانة فقد صرفوا عن عزها بإهانة
ودان بنو حام لحامي ديانة به وبما في برده من أمانة
حمى الله ذاك البيت من كل مرهب

غرابيب عافت بقعة النسك بعقهم أتوا حرما أضحى به القتل شرعهم
فرد عليهم صانع الخلق صنعهم وأهلك بالطير الأبابيل جمعهم
فيا لهم من عارض غير خلب

۞ ۞ ۞

المبحث الثاني
النثر الأدبي في ليلة المولد النبوي الشريف

ومما كتب من نثر بحق المصطفى ﷺ ما كتبه ذو الوزارتين ابن أبي الخصال، ما نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله، الرؤوف الرحيم، الرسول الكريم، ذي الخلق العظيم، والحسب الصميم، والصفح الجميل، والمن المربى على التأميل، صريح الصريح، ورقوء دم الذبيح، المخصوص بالمقام المحمود، والحوض المورود، خطيب الأنبياء وإمامهم في اليوم المشهود، المكين الأمين، الذي ليس على الغيب بضنين النازل عن خير الظهور إلى خير البطون، والمتردد من الأب الأقصى إلى الأب الأدنى بين كل مصونة ومصون، الذي تسلمه الآتي عن الماضي أمانة حملها من كل سلف خياره، ونورا عرضت في جباه السؤدد سيماه وآثاره، إلى أن أذن الله سبحانه، فظهرت أسراره الكامنة إليه ـ صلوات الله عليه ـ الطاهرة آمنة، الذى جعلت له الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت له الغنائم وكانت حجرا محجورا، ونصر بالرعب شهورا، وأوتي جوامع الكلم فانتظمت لفظه سطورًا، وبعث إلى الأحمر والأسود فضلا كان له مذخورا، ونسخت بملته الملل إما مؤمنا وإما كفورا، وأنزل عليه القرآن هدى ونورا فأحيا نفوسًا وشفى صدورا، الذي وجبت نبوءته وستر الغيب عليه منسدل، وآدم ـ صلوات الله عليه ـ في طينته منجدل، لبنة التمام، التي انعقد بها التأسيس، ويتيمة النظام، التي لها ادخر الوضع النفيس، أمام وفد الرحمن، وفرط وراد الإيمان الذي نكلت عن بسالته الضراء، وسلمت له في الخفر العذراء، واعترفت لوائح الصباح من نور جبينه، الآخذ بالحجرات، الوارد بالمعجزات، الذي سلم عليه الحجر، والْتم إليه الشجر، وانشق لبرهانه القمر، وحنّ إلى حضرته الجذع المنقعر، وأنبأه بسورته السم المستعر، ونبع من

بين أنامله الماء، وأجابت بدعوته ثم انجابت السماء أبو القاسم خيرة الخير، وسيد البشر، المصطفى من أكرم العتر، جاشم المجاشم، وذؤابة بني هاشم، هامة العرب، ومنتهى فخر الأبعد والأقرب، الحاشر العاقب، ذو المجد الثاقب، وزهر المآثر والمناقب، الذي فاز المحسنون بطاعته، واستنقذ المذنبون بشفاعته (ﷺ) حساب ما لديه، وكفاء ما يدنى منه ويقرب إليه، من عتيقه، المعلن بتصديقه، الداعي في قربه، المستشفي بريح تربه، المستشفع به إلى ربه، المؤمن بما آمن به من رسله وكتبه. فلان. كتبته يا واضع الإصر والأغلال، ورافع رايات الهدى على الضلال، ومبدلنا بالظل من الحرور، ومخرجنا من الظلمات إلى النور، ومروينا من الرحيق المختوم، والحوض الذي آنيته بعدد النجوم، ومحظينا بالنظر إلى الحي القيوم عن دمع يسفح، ونفس تلفح، وصدر بأشواقه ملآن يطفح، وعرف عليك من الصلاة والسلام ينفح، وأسف إليك يتلهب، وزفرة بأحناء الضلوع تجيء وتذهب، وحشاشة بعوائق البعد عنك تنهب، وكيف لا أقضي حزنا، ولا أرسل دموع الوجد والتلهب مزنا، أم كيف ألذ حياة، وأؤمل نجاة، ولم أعبر إلى زيارتك لجة ولا موماة، ولا أخطرك في قصدك نفسا أنت منقذها ومنجيها، ولا مثلت بمعاهدك المشهورة، ومشاهدك المطهرة أحييها، ولا نزلت عن الكور كرامة للبقعة المقدسة التي ثوبت فيها. فوا أسفا، ألا إلى ثراك مقبلا، ولا أكب على مثواك مستقبلا، ولا أصافح من تلك العرصات، مدارس الآيات، ومهبط الوحي والمناجاة، حيث قضى فرض الصوم والصلوات، وحيث انتشر التنزيل، وسفر بالوحي جبريل، وبرزت خبيئة الدهر، وأورثت بليلة خير من ألف شهر، أسفا لا يمحو رسمه، ولا يعفو ندبه ورسمه، إلا الوقوف بحرم الله وحرمك، والتوسل هناك إلى كرمه بكرمك، اللهم كما جعلتني من أمته، واستعملتني بسنته وشوقتني إلى آثاره، وشغلت قلبي بتذكره وتذكاره وأريتني تلك المعالم المنية خيالا، وخططت منهم في الضمير مثالًا، وأرِتينها ملء السمع والفؤاد جمالا، فاشف بمرآها بصرا ضريرا، وبسناها يرتد بصيرًا، واجعل لي فيها معرسا ومقيلا، وضع عني من شوقها إصرا ثقيلا اللهم أعدني بالقرب على بعده، واجعلني من المقتفين لهداه من بعده، واغمرني بين قبره ومنبره، ومبدأه ومحضره، ومصلاه ومنحره. وأنخ هذه الشيبة، بباب بني شيبة، واغسلها هناك من

ذنوبها وخطاياها، وعج إلى خاتم أنبيائك صدور مطاياها، وهب لي عزمه من أطاع، وبسطة من استطاع، وادفع عني الضرر والضرورة، ولا تمتنى حلس البيت صرورة، لو أوتيت يا رسول الله سلوى، لسبقت إليك كتابي ورسولي لكن قل الوفر، واستقل السفر وغادروني حرضا، ولسهام الوجد والأسى غرضا، أتبعتهم نفسا لا يؤوب وقلبا يستخفه القلق والوثوب، فأتشبث بهم تشبث الأسير بالطليق، وألحظهم لحظ السقيم للمفيق. فلم أملك يا رسول الله، إلا رقعة تشكو بث التبريح وتحية خفيفة المحمل طيبة الريح، تتأرجح ـ يا رسول الله ـ بأرجائك وتتضرج، إلى قبولك ورجائك، فأتوسل بك - يا رسول الله إلى مصطفيك بالرسالة والوسيلة، ومختصك بالدرجة الرفيعة والفضيلة، ومؤتمنك على إقامة حقه، ومبتعثك بالنور والهدى إلى جميع خلقه، ليسعدني بجوارك، ويكرمني بحلول دار هجرتك وأنصارك. وأفرغ بعد حقوقه لحق من حقوقك، وألمّ بصديقك وفاروقك، وأعرج على الصهرين، أبي عمرو ذي النورين، وأبي السبطين، الحسن والحسين، وأندب المقتول، وأعزي البتول، وأوقف بحواريك المودود، وبأسد الأسود، وبابن عبيد الله ذي الجود، وبالأمين حق الأمين، وبقريع دهره في التقى والدين، وبسعيد ذي الفضل المبين، وأقضي حق الأمهات. والأزواج الطاهرات، وسائر أهل الكرامات، وأتقرى منازل السعداء، ومشهد سيد الشهداء وأدعو ربك، في جبل أحببته وأحبك، وأحط بوارث الرأي والراية، وصاحب السقيا والسقاية، وحائز العقبى والغاية، وأعتمد عصمة الهلاك، وأبا أبي الأملاك، حبر العلم والتأويل، وفاتح أغلاق التنزيل، وبحر الندى الجزيل، طالعتك يا رسول الله - بنيتي، وأنزلت بك أمنيتي، وغير عزيز على من شفعك يوم القيامة، وأقطعك دار المقامة، وأعطاك لواء الحمد والكرامة، أن يجمع لي بك بين الشفاعتين، ويؤتيني في الدنيا بلقياك، وفي الآخرة بسقياك، الحسنيين، اللهم بلغ عني الأمين، والرسول القوي المكين، ما أظهره من محبته وأبطنه، وأسره وأعلنه، اللهم أشهد بصلاتي عليه وسلامي، ومحبتي فيه وإلمامي، وصلّ عليه وعلى أصحابه أعلام الإسلام، ومصابيح الظلام، وعلى أهل قرباه، ومن نصره وآواه. وعلى أزواجه الصالحات، العابدات السائحات، صلاة تباري وتفاوح ثناءهم، وتغادب وتراوح فناءهم، يتضوع شذاها، بقبورهم، ويسطع

نشرها إلى يوم نشورهم، مشفوعا عبقها بالدوام والتمام، إلى دار السلام. ثم سلام الله عدد خلقه، ورضى نفسه، على نبي رحمته، المغفور له ما تقدم وتأخر من ذنبه، ورحمة الله وبركاته، وأنهاره وجناته، وروحه وريحانه، ومغفرته ورضوانه، وسلم تسليمًا كثيرا. ولنذكر برسالة كتبها - رَحِمَهُ ٱللَّهُ - عن رجل من أهل قرطبة، يقال له عبد الله بن عبد الحق الصيرفي، كان عليل الجسم، ولما وصلت رسالته القبر الشريف، برئ من زمانته ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد. إلى البشير النذير، والسراج المنير، المخصوص بالتعزير والتوقير، والبيت المقدس بالتطهير. خاتم النبئين، وسيد المرسلين، والشفيع إلى رب العالمين من عتيق هداه، وزاشره بمحبته وهواه، المستكشف ببركته لبلواه، المستشفع بشفاعته في دنياه وأخراه، - فلان.

كتاب وقيذ من زمانته مشفى ... بقبر رسول الله أحمد متشفي
له قدم قد قيد الدهر خطوها ... فلم يستطع إلا الإشارة بالكف
ولما رأى الزوار يبتدرونه ... وقد عاقه عن قصده عاشق الضعف
بكى أسفا واستودع الركب إذ غدوا ... تحية صدق تفعم الركب بالعرف
فيا خاتم الرسل الشفيع لربه ... دعاء مهيض خاشع القلب والطرف
عبيدك عبد الله ناداك ضارعا ... وقد أخلص النجوى وأيقن بالعطف
رجاك لضر أعجز الناس كشفه ... ليصدر داعيه بما شاء من كشف
لرجل رمى فيها الزمان فقصرت ... خطاها عن الصف المقدم والزحف
وإني لأرجو أن تعود سوية ... برحمة من يحيي العظام ومن يشفي
وأنت الذي نرجوه حيا وميتا ... لصرف خطوب لا تريع إلى صرف
عليك سلام الله عدة خلقه ... وما يرتضيه من مزيد ومن ضعف

ومن بديع نظم ابن أبي الخصال[1] قصائد النبويات التي عارض بها قصائد حسان بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في رثاء المصطفى (ﷺ).

(1) أبو عبد الله محمد بن حبيش.

قال ﷺ: تخميس الأولى من الحسانيات الأربعة، التي عمرت من الإحسان أبهى مربع، محجبة في اتساقها عن الغير، مرتبة على مساقها في السير، ترثي سيد الخلق وخاتم الأنبياء، فتبكي بشجوها سكان الأرض وملائكة السماء، صلى الله عليه صلاة تتناهى في تكريمه وإرضائه، وتقضي من حقه ما عجز العالمون عن قضائه:

أيبغى وجود والنبوة تفقد بأرواحكم جودوا فما الدمع يحمد
أما هدكم ناعى الهدى وهو ينشد بطيبة رسم للرسول ومعهد
مبين وقد تعفو الرسوم وتهمد

مضى المرشد الهادي لحكم وحكمة وآلمت الإسلام أدهى ملمة
فما تخلع الأيام أو ثاب ظلمة ولا تمحى الآيات من دار حربة
بها منبر الهادي الذي كان يصعد

وفضفاض آلاء وضافي مكارم ومهبط وحي من إله العوالم
إلى خاتم الرسل السراة الأكارم وواضح آثار وباقي معالم
وربع له فيه مصلى ومسجد

❁ ❁ ❁

المبحث الثالث
المدائح والمواعظ في ليلة المولد النبوي الشريف

مما أورد ابن الخطيب في كتابه «الإحاطة» نقلا عن «نفاضة الجراب» كما أوردها المقري أيضا نقلا عن نفس المصدر[1]. قال لسان الدين ابن الخطيب: ثبت في كتاب «نفاضة الجراب» من تأليفنا عن ذكر المدعي الكبير بباب ملك المغرب ليلة ميلاد رسول الله (ﷺ)، وذكر من أنشد ليلتئذ من الشعراء ما نصه: وتلاه الفقيه الكاتب الحاج القاضي جملة السذاجة وكرم الخلق وطيب النفس وخدن العافية وابن الصلاح والعبادة ونشأة القرآن، المتحيز إلى حزب السلامة المنقبض عن الغمار، العزوف عن فضول القول والعمل، جامع المحاسن، من عقل رصين، وطلب ممتع وأدب نقاوة ويد صناع، أبو القاسم بن أبي زكريا البرجي[2]، فأنشدت له على الرسم المذكور هذه القصيدة الفريدة:

أصغي إلى الوجدِ لما جَدَّ عاتبهُ ... صَبٌّ له شُغُلٌ عمَّنْ يُعاتبه
لم يُعط للصبر من الفراق يدا ... فَضلَّ من ظَلَّ إرشادا يخاطبه
لولا النوى لم يَبِتْ حرانَ مكتئبا ... يُغالبُ الوجد كتْمًا وهو غالبه

(1) راجع ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج2، ص216 وما بعدها، طبعة القاهرة، المقري: نفح الطيب، ج8، ص178-183.
(2) هو أبو القاسم محمد بن يحيى الغساني البرجي الغرناطي كان أديبًا شاعرًا رحل الى المغرب وكتب للسلطان أبي عنان المريني ثم عين قاضيًا بفاس، ولما ولي أبو سالم أجراه على الرسم المذكور، وكان الملوك المرينيون يستعملونه في السفارة إلى ملوك المسلمين في مصر والنصارى في قشتالة (إسبانيا) توفي سنة 786، راجع (ابن الخطيب: الإحاطة، ج2، ص216 (طبعة القاهرة)، ابن خلدون: التعريف، ص64-65، العبر: ج7، ص452، المقري، نفح الطيب، ج8، ص178، 183-184) (أسماء ابن الأحمر: روضة النسرين ص29).

يستودع الليل أسرارالغرام وما تُمليه أشجانهُ فالدمع كاتبه
لله عصرُ بِشَرْقيِّ الحِمَى سَمَحَتْ بالوصل أوقاتُه لو عاد ذاهبه
يا جيرةً أودعوا إذ ودّعوا حُرَقًا يَصْلَ بها من صميم القلب ذائبة
يا هل تُرى تجمع الأيام فِرقتنا كعهدنا أو يردُّ القلبَ سالبه
ويا أهَيْلَ ودادي والنوى يقذف والقربُ قدا أُبهمت دوني مذاهبه
هل ناقض العهد بعد البُعد حافظُه وصادعُ الشمل يوم الشعب شاعبه
ويا ربوعَ الحِمَى لا زلتِ ناعمة يبكي عهودَك مُضْني الجسم شاحبه
يا مَنْ لقلبٍ مع الأهواء مُنعطفٍ في كل أَوْبٍ له شوقٌ يجاذبه
يسمو إلى طلب الباقي بهمته والنفسُ بالميلِ للفاَنِي تطالبه
وفتنة المرءِ بالمألوف معطلةٌ والأنسُ بالإلف نحو الإلف جاذِبُه
أبكي لعهد الصبا والشيبُ يضحك بي يا للرجال سَبَتْ جِدّي ملاعبه
ولن ترى كالهوى أشجاهُ سالفهُ ولا كوعد المنى أحلاهُم لاعبه
وهمة المرءِ تُغليه وتُرخِصه مَنْ عَزَّ نفسا لقد عزت مطالبه
ما هان كسبُ المعالي أو تناوُلُها بل هان في ذاك ما يلقاه طالبه
لولا سُرَى الفَلَكِ السامي لما ظهرت آثارُه ولما لاحت كواكبه
في ذمة الله ركْبٌ للعُلا ركبوا ظَهْرَالسُّرى فأجابَتْهُم نجائبه
يرمون عرض الفَلَا بالسير عن عُرُضٍ طي السجلِّ إذا مَا جدَّ كاتبه
كأنهم في فؤاد الليل سرٌّ هَوى لولاالضّرامُ لما خفَّت جوانبه
شدوا على لهبِ الرمضاء وطأتهم فغاض في لجة الظلماء راسبه
وكلَّفوا الليل من طول السُّرى شططا فخلفوه وقد شابت ذوائبه
حتى إذا أبصروا الأعلام مائلة بجانب الحرم المَحْمِيِّ جانبه
بحيث يأمنُ من مولاهُ خائفُه من ذنبه وينال القصدَ راغبه
فيها وفي طيبَة الغراءِ لى أملٌ يصاحبُ القلبَ منه ما يصاحبه
لم أنس لا أنس أياما بظلمها سقى ثراه عميمُ الغيث ساكبه
شَوْقِي إليها وإن شطَّ المزار بها شوقُ المقيم وقد سارت حبائبه

إن ردَّها الدهر يومًا بعد ما عَبَثَتْ ... في الشمل منا يداه لا نعاتبه
معاهدٌ شَرُفَتْ بالمصطفى فلها ... من فضله شرفٌ تعلو مراتبه
محمد المجتَبَى الهادي الشفيعُ إلى ... ربِّ العباد أمينُ الوحي عاقبه
أوْفَى الوَرَى ذمما، اسماُهُم هممًا ... أعلاهُم كرمًا، جلَّت مناقبه
هو المكَمِّلُ في خَلْقٍ وفي خُلقٍ ... زَكَتْ حُلَاه كما طابت مناسبه
عنايةٌ قبل بدء الخلق سابقةٌ ... من أجلها كان آتيهِ وذاهبه
جاءت تُبشرنا الرُّسل الكرام به ... كالصبح تبدو تباشيرًا كواكبه
أخبارُه سرّ علم الأولين وسَلْ ... بِدَيْرِ تَيَماَء ما أبداه راهبه
تطَابَقَ الكون في البشرى بمولده ... وطبَّقَ الأرض أعلاما تجاوبه
فالجن تهتف إعلانا هواتِفُه ... والجن تقذف إحراقا ثواقبه
ولم تزل عصمةُ التأييد تكنُفُهُ ... حتى انجلى الحقُّ وانزاحت شوائبه
سرى وجنحُ ظلام الليلِ منسدلٌ ... والنجمُ لا يهتدي في الأفقِ ساربه
يسمو لكل سماءٍ منه منفردٌ ... عن الأنام وجِبْرَائِيلُ صاحبه
لمنتهى وقَفَ الروُح الأمين به ... وامتاز قُربا فلا خَلْقٌ يقاربه
لقاب قوسين أو أدنى فما علمت ... نفس بمقدار ما أولاه واهبه
أراه أسرار ما قد كان أودَعه ... في الخلق والأمر باديه وخالقه
وآبَ والبدرُ في بحر الدّجى غرقُ ... والصبح لمَّا يَؤُبْ للشرق آيبه
فأشرقت بسناه الأرض واتبعت ... سُبْلَ النجاة بما أبدت مذاهبه
وأقبل الرشد والتَاحتْ زواهره ... وأدبر الغيّ فانجابت غياهبه
وجاء بالذكر آياتٍ مفصلة ... يَهْدي بها من صراط الله لاحِبهُ
نورٌ من الحُكْمِ لا تخبو سواطعه ... بحرٌ من العلم لا تفنَى عجائبه
له مقام الرِّضا المحمودُ شاهدُه ... في موقف الحشر إذ نابت نوائبه
والرسْلُ تحت لواء الحمد يقدَمُها ... محمدٌ أحمدُ السامي مراتبه
له الشفاعاتُ مقبولا وسائلها ... إذا دَهَى الأمرُ واشتدت مصاعبه
والحوض يروي الصدى من عَذْبِ موردِه ... لا يشتكي غُلَّةَ الظمآن شاربه

محامد المصطفى لا ينتهي أبدا ... تعدادُها، هل يَعُدُّ القَطْرَ حاسبه
فضلٌ تكفّلَ بالدارين يُوسعها ... نُعمى ورُحمى فلا فضلٌ يناسبه
حسبي التوسُّلُ منها بالذي سمحت ... به القوافي وَجلّتْهَا غرائبه
حَيَّاهُ من صلوات الله صَوْبُ حَيًّا ... تُحْدَى إلى قبره الزاكي نجائبه
مسددُ الحكم ميمونٌ نقيبه ... مظفرُ العزم صدقُ الرأيِ صائبه
مُشَمِّرٌ للتقى أذيالَ مجتهدٍ ... جَرَّارُ أذيالِ سُحْبِ الجودِ ساحبه
قد أوسعت أَمَلَ الراجي مَكارمُه ... وأحسبت رغبةَ العافي رغائبُه
وفاز بالأمن محبورًا مسالمه ... وباء بالخزي مقهورًا محاربه
وجاءه الدهرُ يسترضيه معتذرًا ... مستغفرًا من وقوع الذنب تائبه
لولا الخليفة إبراهيمُ لانْبَهَمَت ... طُرْقُ المعالي ونال المُلك غاصبه
سمت لنيل تراث المجد همته ... والملكُ ميراثُ مجدٍ وهو غاصبه
ينميه للعز والعَلْيَا أبو حسن ... سمح الخلائق محمود ضرائبه
من آل يعقوب حسب الملك مفتخرًا ... بباب عزهم السامي تعاقبه
أطواد حلم رسا بالأرض محتده ... وزاحمت منكبَ الجوزا مناكبه
تحفها من مرين أبحرٌ زخرت ... أمواجها وغمامٌ ثار صائبه
بكل نجم لدى الهيجاء ملتهب ... ينقضُّ وسط سماء النّقْع ثاقبه
أكفهم في دياجيها مطالعه ... وفي نحور أعاديهم مغاربه
يا خيرَ من خلصت لله نيته ... في الملك أو خَطَبَ العلياء خاطبه
جردت والفتنة الشعواء ملبسة ... سيفًا من العزم لا تَنْبُو مضاربه
وخضتها غير هَيّابٍ ولا وكِلٍ ... وقلما أدرك المطلوب هائبه
صبرت نفسا لعقبي الصبر حامدة ... والصبر مذ كان محمودٌ عواقبه
فليهن دين الهدى إذ كنت ناصره ... أمْنٌ يواليه أو خوف يجانبه
لا زال ملكك والتأييد يخدمه ... تقضي بخفض مناويه قَوَاضبه
ودمت في نعم تصفو ملابسها ... في ظل عزٍّ عُلًا تصفو مشاربه
ثم الصلاة على خير البرية ما ... سارت إليه بمشتاقٍ ركائبه

كم وافد آملٍ معهود نائله ... أثنى وأثنت بما أولى حقائبه
ومستجير بعزٍّ من مثابته ... عزت مراميه وانقادت مآربه

ومن بديع نظمه ﷺ تعالى تضمينه قصيدة امرئ القيس، وصرف معناها إلى مدح المصطفى (ﷺ) وهي من غر القصائد[1]:

لعينيك قل إن زرت أفضل مرسل ... «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل»
وفي طيبة فانزل ولا تغش منزلا ... «بسقط اللوى بين الدخول فحومل»
وزر قد طالما طاب نشرها ... «لما نسجتها من جنوب وشمأل»
وأثوابك اخلع محرما ومصدقا ... «لدى الستر إلّا لبسة المتفضل»
لدى كعبة قد فاض دمعي لبعدها ... «على النحر حتى بلّ دمعي محملي»
فيا حادي الآبال سر بي ولا تقل ... «عقرت بعيري يا امرءَ القيس فانزل»
فقد حلفت نفسي بذاك وأقسمت ... «علي وآلت حلفة لم تحلل»
فقلت لها لا شك أني طائع ... «وأنك مهما تأمري القلب يفعل»
وكم حملت في أظهر العزم رحلها ... «فيا عجبا من كورها المتحمل»
وعاتبت العجز الذي عاق عزمها ... «فقالت لك الويلات إنك مرجلي»
نبي هدى قد قال للكفر نوره ... «ألا أيها الليل الطويل أنجلِ»
تلا سورًا ما قولها بمعارض ... «إذا هي نصته ولا بمعطل»
لقد نزلت في الأرض ملة هدية ... «نزول اليماني ذي العياب المحمل»
أتت مغربا من مشرق وتعرضت ... «تعرض أثناء الوشاح المفصل»
ففازت بلاد الشرق من زينة بها ... «بشق وشق عندنا لم يحول»
فصلى عليه الله ما لاح بارق ... «كلمع اليدين في حبي مكلل»
نبي غزا الأعداء بين تلائع ... «وبين إكام بعد ما متأمل»
فكم ملك وفاه في زي منجدٍ ... «بمنجرد قيد الأوابد هياكل»
وكم من يمان واضح جاءه اكتسى ... «بضاف فويق الأرض ليس بأعزل»

---

(1) نفح الطيب، ج5، ص520.

ومن أبطحي نيط منه نجاده «بجيد معم في العشيرة مخول»
أزالوا ببدر عن سروجهم العدا «كما زَلَّت الصفواء بالمتنزل»
ونادوا ظباهم لا يفتك فتى ولا «كبير أناس في بجادٍ مزمل»
وفض جموعا قد غدا جامعًا بها «لنا بطن ذي قفاف عقنقل»
وأحموا وطيسًا في حنين كأنه «إذا جاش فيه حميه غلي مرجل»
ونادوا بنات النبع بالنصر أثمري «ولا تبعدينا من جناك المعلل»
وممن له سددت سهمين فاضربي «بسهميك في أعشار قلب مقتل»
فما أغنت الأبدان درع بها اكتسب «ترائبها مصقولة كالسجنجل»
وأضحت لواليها ومالكها العدا «ويقولون لا تهلك أسى وتجمل»
وقد فر منصاع كما فر خاضب «لدى سمرات الحي ناقف حنظل»
وكما قال يا ليل الوغى طلت فانبلج «يصبح وما الإصباح منك بأمثل»
فليت جوادي لم يسر بي إلى الوغى «وبات بعيني قائم غير مرسل»
وكم مرتق أوطاس منهم بمسرجِ «متى ما ترق العين فيه تسهل»
وقرطه خرصا كمصباح مسرج «أهان السليط في الذبال المفتل»
فيزهو لهاد فوق هاديه طرفه «بناظرة من وحش وجرة مطفل»
ويسمع من كافورتين بجانبي «اثيت كقنو النخلة المتعثكل»
ترفع أن يعزى له شد شادن «وإرخاء سرحان وتقريب تتفل»
ولكنه يمضي كما مر مزبد «يكب على الأذقان دوح الكنهبل»
ويغشى العدا كالسهم أو كالشهاب أو «كجلمود صخرٍ حطه السيل من عل»
جياد أعادت رسم رستم دارسا «وهل عند رسم دارس من معول»
وريعت بها خيل القياصر فاختفت «جواهرها في صرة لم تزيل»
سبت عربا من نسوة العرب تستبي «إذا ما اسبكرت بين درع ومجول»
وكم من سجايا الفرس والصفر أسهرت «نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل»
وحُزْن بدورًا من ليالي شعورها «تضل المداري من مثنى ومرسل»
وأبقت بأرض الشام هاما كأنها «بأرجائها القصوى أنابيش عنصل»

كان السلطان أبو حمو[1] موسى بن يوسف الممدوح في هذه القصيدة يحتفل بليلة مولد رسول الله (ﷺ) غاية الاحتفال، كما كان ملوك المغرب والأندلس في ذلك العصر وما قبله يعتنون بذلك، ولا يقع منهم فيه إغفال؛ وقد تقدم أنَّ العَزَفِيّ صاحب سبتة هو الذي سن ذلك في بلاد المغرب، وأتى بزلفى تُدينه إلى الله وتقرب؛ واقتفى الناس سننه، وتقلدوا منه؛ تعظيمًا للجناب الذي وجب له السمو والعلو، على أنَّ بعضهم قد خرج إلى ذلك حدّ الإسراف والغلو؛ وكل يعمل على شاكلته. ومن جملة احتفال السلطان أبي حمو المذكور[2] ما قاله «صاحب راح الأرواح»: (إنّه كان يقيم ليلة الميلاد النبوي، على صاحبه الصلاة والسلام، بنورة من تلمسان المحروسة، مدعاةً حفيلة، يحشر فيها الناس خاصة وعامة، فما شئت من نمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة، وبسط موشاة، ووسائد بالذهب مغشاة؛ وشمع كالأسطوانات، وموائد كالهالات؛ ومباخر صفر منصوبة كالقباب، يخالها المبصر من تبر (مذاب)؛ ويفاض على الجميع أنواع الأطعمة، كأنها أزهار الربيع المنمنمة؛ تشتهيها الأنفس وتستلذها النواظر، ويخالط حسن رياها الأرواح ويخامر؛ رتب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال، وقد علت الجميع أبهة الوقار والإجلال؛ وبعقب ذلك يحتفل المستمع في أمداح المصطفى عليه الصلاة والسلام، ومكفرات ترغب في الإقلاع عن الآثام؛ يخرجون فيها من فن إلى فن، ومن أسلوب إلى أسلوب؛ ويأتون من ذلك بما تطرب له النفوس وترتاح إلى سماعه القلوب وبالقرب من السلطان، رضوان الله عليه، خزانة (المنجانة وقد زخرفت كأنها حلة يمانية لها أبواب مرتجة على عدد الساعات) الليل الزمانية؛ فمهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها، وفتح عند ذلك باب من أبوابها وبرزت منه جارية صورت في أحسن صورة، في يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطورة؛ فتضعها بين يدي السلطان بلطافة، ويسراها على فمها كالمؤدية بالمبايعة حق الخلافة؛ هكذا حالهم إلى

(1) ينظر: المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري، التلمساني (1041هـ)، أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، (1411هـ ـ 2010م).

(2) المقري- أزهار الرياض في أخبار عياض، ج2/ 513.

انبلاج عمود الصباح، ونداء المنادي حي على الفلاح). وقال في «نظم الدرر والعقيان» في هذا المعنى ما نصه[1] :

ويحتفل لها بما هو فوق سائر المواسم، ويقيم مدعاة، يحشر لها الأشراف والسوقة، فما شئت من نمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة، وشمع كالأسطوانات، وأعيان الحضرة على مراتبهم تطوف عليهم ولدان قد لبسوا أقبية الخز الملون، وبأيديهم مباخر ومرشات، ينال كل منهم بحظه، وخزانة المنجانة ذات تماثيل لجين محكمة الصنعة، بأعلاها أيكة تحمل طائرا فرخاه تمت جناحيه ويختله فيهما أرقم خارج من كوة بجذر الأيكة صعدا، وبصدرها أبواب مرتجة بعدد ساعات الله الزمانية، يصاقب طرفيها بابان كبيران وفوق جميعها دوين رأس الخزانة قمر أكمل يسير على خط الاستواء سير نظيره من الفلك، ويسامت أول كل ساعة بابها المرتج، فينقص من البابين الكبيرين عقابان، بفي كل واحد منهما صنجة صفر يلقيها إلى طست من الصفر مجوف بوسطه ثقب يفضي بها إلى داخل الخزانة فيرن وينهش الأرقم أحد الفرخين فيصفر له أبواه فهنا يفتح باب الساعة الذهبية وتبرز منه جارية محتزمة كأظرف ما أنت راء، بيمينها إضبارة فيها اسم ساعتها منظومة ويسراها موضوعة على فيها، كالمبايعة بالخلافة، والمسمع قائم ينشد أمداح سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا ومولانا محمد (ﷺ) ثم يؤتى آخر الليل بموائد كالهالات دورا والرياض نورا؛ قد اشتملت من أنواع محاسن الطعام على ألوان تشتهيها الأنفس وتستحسنها الأعين، وتلذ بسماعها الأذن، وبشره مبصرها للقرب منها والتناول وإن كان ليس بغرثان؛ والسلطان لم يفارق مجلسه الذي ابتدأ جلوسه فيه وكل ذلك بمرأى منه ومسمع يصلي هناك صلاة الصبح. وكان يعني السلطان أبا حمو يقوم بحق مولد المصطفى (ﷺ) على هذا الأسلوب تمضي ليلة مولد المصطفى (ﷺ) في جميع أيام دولته أعلى الله مقامه في عليين وشكر له ذلك صنعه الجميل آمين. وما من ليلة مولد مرت في أيامه إلّا ونظم فيها (قصيدا) في مدح المصطفى (ﷺ)، أوّل ما يبتدئ المسمع في ذلك المحفل العظيم بإنشاده، ثم يتلوه إنشاد من رفع إلى مقامه العلي في تلك الليلة نظمًا.

---

(1) ينظر: المقري، نفح الطيب، ج6، ص514.

وقوله رحمه الله في أقضاء ثلاث ساعات من الليل[1]:

أمولاي يا ابن الملوك الألى ... لهم في المعالي سني الرتب
تولت ثلاث ساعات من الليل أبـ ... ـقت لك الفخر في عجمها والعرب
فدم حجة الله في أرضه ... تنال الذي شئته من أرب

وقوله رحمه الله في مضي ست ساعات:

يا ماجدًا وهو فرد ... تخاله في عساكر
ست من الليل ولت ... ما إن لها من نظائر
دامت لياليك حتى ... إلى المعاد نواضر

وقوله رحمه الله في مضي ثماني ساعات:

يا أكرم الخلق ذاتًا ... وأشرف الناس أسره
مرت ثمان وأبقت ... في القلب من حسره
فيهن كان شبابي ... أخا نعيم ونضره
ولى بها الدهر عني ... ترى لها بعد كره
فالله يبقيك مولى ... يطيل في السعد عمره

وقوله رحمه الله بعد مضي عشر ساعات[2]:

يا مالك الخير والخيل التي حكمت ... له بعز على الأيام مقتبل
هذا الصباح وقد لاحت بشائره ... والليل ودعنا توديع مرتحل
له عشر من الساعات باهرة ... مضين لا عن قلى منا ولا ملل
كذا تمرّ ليالي العمر راحلة ... عنا ونحن مع الآمال في شغل

القصائد المفردة في فن المديح النبوي عند الشعراء في الغرب الإسلامي:

1- ميمون بن خبازة الخطابي (ت637هـ) في العصر الموحدي[3]، له

---

(1) نفح الطيب، ج6، ص516.
(2) ينظر: نفح الطيب، ج6، ص516.
(3) المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، (طبعة القاهرة)، ج2/ 384، ينظر: ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس، (الطبعة الحجرية) ص209.

قصيدة مطلعها:

حقيق علينا أن نجيب المعاليا لنفسي في مدح الحبيب المعانيا

2- أبو حفص عمر المرتضى[1]، أنشد في العصر الموحدي قصيدة عن المولد مطلعها:

وافى ربيع قد تعطر نفحه أذكى من المسك العتيق نسيما

ظهر في الغرب الإسلامي شعراء من الصحراء ينشدون عن ليلة المولد النبوي أمثال: محمد بن سيدي العلوي، ومحمد بن سعيد الدماني، وسيدي عبد الله بن أحمد ومولود بن الجواد المعروف بـ (أجويد) الذي اشتهر عنه أنه كان مداحًا للرسول الكريم (ﷺ)، ومن قصائده تلك التي تعرف بـ (المرجانية)[2] وهي التي يقول في أولها:

أزكى صلاة وتسليم على قمر بدرية قد أنار الله أعوانه

وفيها قصيدة يمدح الرسول الكريم (ﷺ):

محمد خير مبعوث أقام على ما يدعيه من أمر الله برهانه
وخير من قد نفت عنه أمالته وصدقه الكذب والكتمان والخانه
وخير طاع لمن لم يعص طاعته وخير خاش لمن يخشاه خشيانه
وخير من محض المولى عبادته وخير من دان دين الله ديانه
وخير من رحم المولى العباد به وخير من عرف المولى عرفانه
وخير داعٍ سقى من لم يحبه إلى هداه علقم أصغار وذفانه
وخير من أمن الإسلام بيضة أمنا به صولة العادى وسلطانه

تفنن شعراء المغرب العربي في قصائد المديح للمولد الشريف منهم أحمد بن العياشي سكيرج في قصيدته المسماة «السحر الحلال في مدح سيد الرجال» فقد جعلها أعاريض بحور الشعر، ملتزمًا في كل ضرب ذكر ثلاثة أبيات، نذكر

(1) ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج3/ 452).
(2) الشنجيطي، أحمد بن الأمين، الوسيط في تراجم أدباء شنجيط، (طبعة مصر 1329هـ/ 1911م)، ص194).

الأبيات الأولى، وهي على بحر الطويل في عروضه المقبوضة وضربه السالم يقول فيها:

فهل جناب المصطفى يدفه الشر ... وترقى به العليا ويمحى به الوزر
فهل هو إلا للقلوب داؤها ... تزاح به الأدوا وينجبر الكسر
فلازم إذا شئت السعادة ذكره ... وصلِّ عليه فالصلاة لها سر

* * *

المبحث الرابع
الرسائل والموشحات

ومن الرسائل التي أرسلت إلى مقام الحضرة الشريفة، «الرسالة النبوية» التي أنشأها الأمير أبو زكريا إلى الحضرة الشريفة حضرة خير البرية ﷺ، إلى سيد المرسلين، وسند المسلمين، الرؤوف بالمؤمنين، الموصول من سببه متين، الآخذ بالحجز عن النار، الباني من طرق النجاة أرفع منار، العاقب الحاشر الطاوي الناشر، الكالئ الحافظ المعرض عليه الجنة والنار في عرض الحائط، المنعوت في التوراة والإنجيل، المحمية ذراه بحجارة من سجيل، مطلع المعجزات غرا سامية كبنات بَخْر، سيد ولد آدم ولا فخر، الذي نبذ الدنيا وفلّ شباها، وشد بطنه الحجر ولو شاء لتبعه ذهبًا وفضة أخشابها[1]، فصال بالشرك وسطًا، وجعلنا الله به أمة وسطًا، ذو الخلق العظيم، والقلب السليم، الملقّي القرآن من لدن حكيم عليم، أشد من رأمي، وأسد الناس مرامًا، وأصدع عند الألباس، وأشجع علي حين يحمر البأس، وأثبت والمقام دحض والموت عض، وأبر من حلمته ناقة، وأوفى من شد إليه راحل شناقه، أروى من عجفاء أم معبد، وترك نور الإسلام وهو معبَّد فجذع من جذع، وحن إليه الجذع وختم به الأزلم الجذع، والنبي لا كذب، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن عبد الله يحيى بن عبد الواحد بن عمر، سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته على أنور وأكرم جليلين في المحيا والممات، الثاني في الغار، المتعلق من التصديق بالسبب المغار الثابت حين جف الريق والوريق، الهاجد وكل نائم وناظره أريق، والمؤنس في العريش يوم النفخ المهتدي حين جار هادي الطريق، فجعلها بين الفجر والبجر الذي عرض عليه الإسلام فلم يتلعثم، وسفر عنه وجه الإيمان فلم

(1) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، ت بعد 712، تحقيق: ليفي بروفنسال.

يتنقب بعد ولا تلثم، وشرى الباقي فشار معسوله، واتفق ماله فلم يترك لنفسه إلا الله ورسوله، والمغضي عن العاجلة وقد حدقت إليه كل التحديق، أبو بكر عتيق الصديق، وعلى محلي الأعصار ومجلي الإعصار، وممصر الأمصار، ومبيد العدو الأزرق بمزعفري الأسود، وبني الأصفر بالكتائب السود، منشئ عمائم الفتوح كأيمن الصوب على قطن، الذي لم ير من يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن، الساعي بغيرته على منازل عترته والليل يهيم، المنزل القرآن بموافقته في أسرى بدر والحجاب وتحريم الخمر ومقام إبراهيم، وجعل الحق على لسانه، ونور المُحَدِّثِين في جنانه وإنسانه، فرد من منافقة الخطاب وأصفى خطاب الإيمان وأطاب، وأبو حفص الفاروق عمر بن الخطاب:

سلام كعرف الروض باكره القطر ... إذا ما خطا قطر تداوله قطر
تحية من قدم قسم الشوق قلبه ... ففي طيبة شطر وفي تونس شطر
أطارت قسيّ الشوق أفلاذ صدره ... فللّه ما أودى به ذلك الأطر
كان النوى لم تُضْمِ غير جوانحي ... فواكبدي لو در لي ذلك الشطر
وكل يزف المجد آماله له ... وما لي منه لا عروس ولا عطر
أيقعدني يا خاتم الرسل خاتم ... من البعد في قلبي له أبدًا فطر
ومن لا يذد بالعزم يقصر بعجزه ... لقد بسق العيدان واتضع الفطر
ولو كنت مختارًا لنفسي منية ... لما ناب من ترحاليّ الطرس والسطر
جيادي جيادي لا تصومي على عمّى ... أما لك إهلال بطيبة أو فطر
فكم ضامر نادى الغرابُ غرابه ... إلا في سبيل الله ما غير الخطر
وكم سارب يسري لها سرباله ... مخافة أن يضحي وسرباله فطر

ومن الموشحات التي خوطب بها السلطان أبو حمو رحمه الله في مولد سنة سبع وستين وسبع مئة، قوله طبيب دولته أبي عبد الله محمّد بن أبي جمعة الشهير بالتلالسي(1) رحمه الله تعالى:

لي مدمع هتان ... ينهل مثل الدرر

(1) في سائر الأصول: (التلالسي) والمثبت رواية المقري في نفح الطيب، ج7، ص129.

قد صير الأجفان ... ما إن لها من أثر
حق له يجري ... دما على طول الدوام
مذ جد في السير ... ناس إلى خير الأنام
وعاقني وزري ... يا صاح عن ذلك المقام
وسارت الأظعان ... يحدى بها في السحر
فاستبشر الركبان ... بقرب نيل الوطر
يا سعده من زار ... قبر النبي المصطفى
محمّد المختار ... قطب المعالي والوفا
في مدحه قد حار ... الخلق طرا وكفى
في محكم القرآن ... وشرحه والسير
فضّله الرحمن ... على جميع البشر
يا حادي الركب ... بالله إن جئت البقيع
تحية الصب ... بلغ إلى الهادي الشفيع
غربت بالمغرب ... عن ذلك المغنى الرفيع
وليس لي إمكان ... ينهضني للسفر
إلّا من السلطان ... الملك المظفر
ولم يزل يسمو ... إلى المعالي في كل حين
ذاك أبو حمو ... المولى أمير المسلمين
طاعت غنم ... نلنا بها دنيا ودين
أظهر في البلدان ... من عدله المشتهر
وعم بالإحسان ... للبدو ثم الحضر
قابله إسعاد ... تكل عنه الألسنهْ
قبيل عبد الواد ... به غدت في سلطنهْ
أيامه أعياد ... يا ليتها ألف سنةْ
ملك بني زيان ... بالمشرفي الذكر

أحـــيـــاه إذا قـــد كـــان ... لـــيـــس لـــه مـــن خـــبـــر
تـــاهـــت تـــلـــمـــســـان ... بـــمـــلـــكـــه عـــلـــى الـــبـــلاد
صـــار لـــهـــا شـــان ... وســـعـــدهـــا حـــلـــف ازديـــاد
قـــد ظـــل إنـــســـان ... قـــال بـــهـــا يـــشـــكـــو الـــســـهـــاد
لـــيـــل الـــهـــوى يـــقـــظـــان ... والـــحِـــب تـــرب الـــســـهـــر
والـــصـــبـــر لـــي خـــوان ... والـــنـــوم مـــن عـــيـــنـــي بَـــرِي

وكان هذا السلطان أبو حمو رحمه الله يقرض الشعر، ويحب أهله وله رحمه الله تأليف حسن في السياسة لخص فيه «سلوان المطاع» لابن ظفر وزاد عليه فوائد، وأورد فيه جملة من نظمه وأمورًا جرت له مع معاصريه من ملوك بني مرين وغيرهم، وصنفه برسم ولي عهده أبي تاشفين وسماه «نظم السلوك في سياسة الملوك». وكان الفقيه ذو الوزارتين أبو عبد الله ابن الخطيب المذكور آنفا كثيرا ما يوجه إليه بالإمداح ومن أحسن ما وجه له قصيدة سينية فائقة، وذلك عندما أحس بتغير سلطانه عليه فجعلها مقدمة بين يدي نجواه لتمهد له مثواه وتحصل له المستقر إذا ألجأه إلى الأمر، إلى المفر فلم تساعده الأيام كما هو شأنها في أكثر الأعلام وهي هذه[(1)]:

أطلعن في سدف الفروع شموسها ... ضحك الظلام لها وكان عبوسًا
وعطفن قضبا للقدود نواعمها ... بوئن أدواح النعيم غروسًا
وعدلن عن جهر السلام مخافة الـ ... ـواشي فجئن بلفظه مهموسًا
وسفرن من دهش الوداع وقومـ ... ـهن إلى الترحل قد أناخوا العيسا

ومن بديع صالح ابن احمد بن عثمان صلاح النديم القواس الشاعر الخلاطي البعلبكي ت (732 هـ)[(2)] في مدح المصطفى (ﷺ) هذه القصيدة المشهورة هي:

ما لسلمى بنار الهجر تكويني ... وحبها في الحشى من قبل تكويني
معناها تمنت المنى فغدا ... تغلبي كئيبا ببلواه يناجيني

(1) المقري: نفح الطيب، ج6، ص195.
(2) كان رجلًا خيرًا متواضعًا صحب الفقراء، وسافر الكثير، وكان يعبر الرؤيا ينظر، المُقَّري، أزهار الرياض، ج1/ 278.

قباب قبا قامت لنا بقبا … طرازها مذهب في حس تزيين
جئت في الحلى تزهو ببهجتها … وبالغزالة تزرى السراحين
تفننت في أفنان قامتها … تفننت بفنون الصد تفنيني
ويحسب الصب يسليني محبتها … هيهات لو أن جم النار يصليني
في كبدي والشوق يقليني … والقرب ينشرني والبعد يطويني
وركن صبري تخلى في الغرام وقد … تمكن الحب في أي تمكين
وقد رأيت مسيري عز مطلبه … والطرف والظرف يبكيني ويكويني
نصبت حالي لرفع الضم منجزم … بالكسر على برشف الضم يحييني
يا صاح عج بالحمى وانزل بهم سحرًا … وانظر لعجب أثيلاث البساتين
وفوق سفح العميق عج لترى … جآذر الحي بين الخرد العين
ومل على أثلاث ألبان منعطفًا … وحي سلعا وسل عن حال مسكين
ثم ائت جزعًا وجز عن حي كاظمة … واقر السلام على خير النبيين
محمّد المصطفى المختار من ظهرت … آياته فتسلى كل جاء بالدين
خصه الله بالقرآن معجزة … ما نالها مرسل قد جاء بالدين
ومن شهاب بدا من نوره رجمت … والماء من كفه يزري بجيحون
وهو الذي اختاره الباري وأرسله … برًّا رؤوفًا رحيمًا بالمساكين
إن سار في الرمل لم يظهر أثر … وإن علا الصخر كالطين
كأنَّ بالرمل ما بالصخر بالصخر من جلد … شوقا وبالصخر ما بالرمل من لين
وفي الصحيحين أنَّ الجذع حن له … والعذاق أنَّ إليه أي تأنين
وقد سمعنا بأنّ الطير خاطبته … في منطق مفصح من غير تلكين
والظبي والضب جاءا يشهدان بأن … لا شيء أعظم من ويسين
فكيف أحسن مدحا في محاسنه … لكن لي قبولا منه يكفيني
أقبل الأرض إجلالا لهيبته … وألم الترب عل الوصل يحييني
وقد أقول ابن حمدان أتى … منديا بفؤاد منه محزون
يا أكرم الخلق من عرب ومن عجم … وأحسن الناس من حسن وتزيين

إنـي أتـيـتـك فـاقـبـلـنـي بـيـدي ... ومـن لـهـيـب لـظـى وسـجـيـن
وقد مدحتك فارحمني وجد فعسى ... من هول يوم اللقاء والحشر تنجيني
وكـن شـفـيـعـي مـن الـنـيـران يـا أمـلـي ... ولـعـل أحـظـى بـأجـر غـيـر مـمـنـون
صـلـى عـلـيـك إلـه الـعـرش مـا غـردت ... حـمـائـم فـوق أغـصـان الـبـسـاتـيـن
صـلـى عـلـيـك إلـه الـعـرش ومـا وفـدت ... نـويـقـة لـحـمـي الأطـلال تـبـريـنـي
صـلـى عـلـيـك إلـه الـعـرش مـا هـطـلـت ... مـدامـع الـسـحـب أو عـيـن الـمـحـبـيـن
صـلـى عـلـيـك إلـه الـعـرش مـا ضـحـكـت ... مـبـاسـم الـزهـر فـي ثـغـر الأفـانـيـن
وفـق راحـتـه صـم الـحـصـى نـطـقـت ... والـمـاء مـن كـفـه يـزري بـجـيـون
وألـفُ ألـفِ صـلاة لا نـفـاد لـهـا ... مـضـروبـة فـي ثـمـان ألـف تـسـعـيـن
عـلـيـك يـا خـيـر خـلـق الله قـاطـبـة ... وألـف ألـف سـلام فـي ثـمـانـيـن
وآلـك الـغـر والأصـحـاب كـلـهـم ... وتـابـعـيـهـم لـيـوم الـحـشـر والـديـن
مـا عـطـر الـروض فـي الأسـحـار صـبـا ... وفـاح تـسـر خـزامـى مـنـه نـسـريـن
ومـا شـدا مـنـشـد صـب لـفـرط جـوي ... سل ما لسلمى بنار الهجر تكويني

قال رَحِمَهُ اللهُ:

لـبـسـنـا فـلـم نـبـل الـزمـان وأبـلانـا ... يـتـابـع أخـرانـا عـلـى الـغـي أولانـا
ونـغـتـر بـالآمـال والـعـمـر يـنـقـضـي ... فـمـا كـان بـالـرجـعـى إلـى الله أولانـا
وماذا عسى أن ينظر الدهر من عسى ... فـمـا انـقـاد لـلـزجـر الـحـثـيـث ولا لانـا
جـزيـنـا صـنـيـع الله شـر جـزائـه ... فلم نرع ما من سابق الفضل أولانا
فـيـا رب عـامـلـنـا بـمـا أنـت أهـلـه ... من العفو واجبر صدعنا أنت مولانا

ولنقتصر من نظمه على هذا القدر، فإنه طويل عريض، وإنّما أطلت النفس في ترجمة ابن الخطيب، رَحِمَهُ اللهُ، علما مني بأن الذين رغبوا في تأليف هذا الموضوع، لهم تشوف إلى أنباء ابن الخطيب، وكلامه وجيلة أحواله ليست عندهم، وإنما يحفظون بعض نظمه ونثره، ولا يدرون ابتداء أمره وانتهائه، وقد حكى غير واحد أنّه رُئي رَحِمَهُ اللهُ بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي بسبب بيتين، وهما:

يـا مـصـطـفـى مـن قـبـل نـشـأة آدم ... والـكـون لـم تـفـتـح لـه أغـلاق

أيروم مخلوق ثناءك بعد ما أثنى على أخلاقك الخلاق

وقد رأيت على هذين البيتين تخميسا لا بأس به، لأبي عبد الله بن جابر الغساني المكناسي، رَحِمَهُ الله، وهو:

يا سائرًا لضريح خير العالم ينتهي إليه مقال صب هائم

بالله ناد وقل مقالة عالم يا مصطفى من قبل نشأة آدم

والكون لم تفتح له أغلاق

بثناك قد شهدت ملائكة السما والله قد صلى عليك وسلما

يا مجتبي ومعظمًا ومكرمًا أيروم مخلوق ثناءك بعد ما

أثنى على أخلاقك الخلاق

أبو عمر ميمون بن علي بن عبد الخالق الصنهاجي يعرف[1] بـ(ابن الخبازة) الفاسي ومن شعره رَحِمَهُ الله تعالى هذه القصيدة الفريدة التي مدح بها المصطفى (ﷺ)، وأشار إلى جملة من مناقبه الربانية، ومآثره العرفانية، وآياته الباهرة ومعجزاته الظاهرة (ﷺ)، وشرّف وكرّم، ومجّد وعظّم، وبارك وأنعم، وتحنّن وترحّم، قوله[2]:

حقيق علينا أن نجيب المعاليا لنفني في مدح الحبيب المعانيا

ونجمع أشتات الأعاريض حسبة ونحشد في ذات الإله القوافيا

ونقتاد للأشعار كل كتيبة لنصر الهدى والدين تردى الأعاديا

فألسن أرباب البيان صوارم مضاربها تنسي السيوف المواضيا

لنطلع من أمداح أحمد أنجما تلوح فتجلو من سناه الدياجيا

كواكب إيمان تنير فيهتدي بأضوائها من بات للحق ساريا

سهوت بمدح الخلق دهري فهذه لجبري كل ما قلت ساهيا

فلا مدح إلّا للذي بمديحه تطيع إذا ما كنت بالمدح عاصيا

رسول براه الله من صفو نوره وألبسه برادا من النور ضافيا

(1) ينظر: المقري، أزهار الرياض، ج2/ 371، ترجم له.

(2) ينظر: المقري، أزهار الرياض، ج2/ 376.

وما زال ذاك النور من عهد آدم ينير به الله العصور الخواليا
ثوى في ظهور الطيبين يصونه وديعه سر صار بالبعث فاشيا
وخص بطون الطيبات بحمله ليحمل فرعا بالسيادة زاكيا
به وزن الله الخلائق كلهم فألقاه فيهم راجح الوزن وافيا
وأنقذنا من ناره بظهوره ولولاه كان الكل بالشرك صاليا
وآدم لمّا خاف يجزى بذنبه توسل بالمختار لله داعيا
فتاب عليه الله لمّا دعا به وأدنا منه بعد ما كان نائيا
وقد يهجر المحبوب في حالة الرضا ويأبى إلّا يصدق واشيا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا
وأدرك نوحا في السفينة رعية فخلصه الله كان في الموج داعيا
وما زال سام وهو ثاو بظهره على أخويه بالفضائل ساميا
فخصص حتى بالمكان كرامة وأسكن في أعلى البلاد مراقيا
وأنزل حام بالجنوب مجانيا ويافث في أقصى الشمال مؤازيا
وأنزل سام للفضيلة وحده بأوسط معمور البلاد الأعاليا
فأخبروا ذا النورين أن ستصيبه على الأمر بلوى تعقب الأجر وافيا
وأخبروا عمارًا بأن حياته سيقطعها بالغي من كان باغيا
وقال لذي السبطين أشقى الورى الذي سيخضبها من هامة الرأس عاصيا
يصادف نور الشيب أبيض ناصعا فيسقيه صوب الحتف أحمر قانيا
ونص على السبط الشهيد بكر بلا فقام له الدين الحنيفي ناعيا
وفي الحسن الزاكي أبان بأنه سيصلح بين الناس للأجر ناويا
وقال لقوم إن أخرجكم بها مماتا سيصلى جاحم الجمر حاميا
وقال إذا ما مات كسرى فما ترى سميا له أخرى الليالي مساميا
وأخبر عن موت النجاشي حينه وبينهما بحر من الموج طاميا
وقال على قرب الحمام لبنته تموتين بعدي فافرحي بلقائيا

وآياته جلت من العد كثرة فما تبلغ الأقوال منها تناهيا
وأعظمها الوحي الذي خصه به فبلغ عنه آمرا فيه ناهيا
تحدى به أهل البين بأسرهم فكلهم ألفاه بالعجز وانيا
وجاء به وحيا صريحا يزيده مرور الليالي جدة وتعاليا
تضم أحكام الوجود بأسرها وحكم القضاء مثبتا فيه نافيا
وأخبر عما كان أو هو كائن يرى ماضيا أو ما يرى بعد آتيا
ووافق أخبار النبيين كلهم وتمم بالغابات منها المباديا
وما كتبت يمناه قط صحيفة ولا رئيَ يوما للصحائف تاليا
عليه سلام الله لا زال رائحًا عليه مدى الأيام وغاديا

ومن المواعظ التي ذكرت في حق المولد الشريف ما قاله الإمام الشهير أبو الفرج ابن الجوزي حيث قال:

يا ساكن الدنيا تأهّبْ وانتظر يوم الفراق
وأعدَّ زادًا للرحيل فسوف يُحْدى بالرفاق
وابكِ الذنوبَ بأدمُعٍ تنهلُّ من سُحُب المآق
يا مَنْ أضاعَ زمانه أرَضيتَ ما يَفْنى بباقِ

وقد حكى غير واحد أن لسان الدين رَحِمَهُ اللهُ تعالى رأى بعد موته في المنام، فقال له الرائي: ما فعل الله بك؟ فقل: غفر لي ببيتين قلتهما، وهما:

يا مصطفى من قبل نشأة آدم والكون لم تفتح له أغلاقُ
أيرومُ مخلوقٌ ثناءكَ بعدما أثنى على أخلاقكَ الخلاقُ؟

وقد كرر رَحِمَهُ اللهُ تعالى هذا المعنى في قصيدة في حقه (ﷺ)، وشرف وكرم، ومجد وعظم، وبارك وأنعم، وهو قوله:

مدحتك آياتُ الكتاب فما عسى يثني على علياك نظم مديحي
وإذا كتابُ الله أثنى مفصحًا كان القصور قُصار كل فصيح

وقد رأيت بالمغرب تخميسًا للبيتين الأولين منسوبًا للأديب الشهير الذكر بالمغرب أبي عبد الله محمد بن جابر الغساني المكناسي رَحِمَهُ اللهُ تعالى، ولا بأس أن

نورده هنا، وهو قوله ﷺ تعالى:

يا سائلًا لضريح خير العالم ... يُنهي إليه مقام صبّ هائم
بالله نادِ وقل مقالة عالم ... يا مصطفى من قبل نشأة آدم
والكون لم تفتح له أغلاقُ
بثناك قد شهدتْ ملائكةُ السما ... والله قد صلى عليك وسلّما
يا مجتبى ومعظّما ومكرّمًا ... أيرومُ مخلوق ثناءكَ بعدما
أثنى على أخلاقكَ الخلاقُ

مخمسات من المدائح النبوية:

ومن بديع نظم ابن الجنان[1] ﷺ تعالى هذا التخميس في مدح سيد الوجود، (ﷺ)، وشرّف وكرّم[2]:

اللهُ زاد محمدًا تكريما
وحبَاهُ فضلًا من لدنه عظيمًا
واختصّه في المرسلين كريما
ذا رأفةٍ بالمؤمنين رحيما ... صلّوا عليه وسلّموا تسليما

جلَّت معاني الهاشميِّ المرسلِ
وتجلَّتِ الأنوارُ منهُ لمجتلي
وسَما به قدرُ الفخارِ المعتلي
فاحتلَّ في أفق السّماء مُقيما ... صلّوا عليه وسلّموا تسليما

حاز المحامدَ والممادحَ أحمدُ
وزكت مناسبه وطابَ المحتدُ
وتأثلَتْ علياؤه والسؤددُ

---

(1) ابن الجنان محمد بن محمد بن أحمد الأنصاري، أبو عبد الله من أهل مرسية كان محدثًا راوية ضابطًا، كاتبًا بليغًا شاعرًا بارعًا، رائق الحظ، دينًا فاضلًا، خيرًا ذكيًّا، المقري، نفح الطيب، ج7/ 416، ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة 432.

(2) المقري، نفح الطيب، ج7.

مـجدًا صـمـيـمًـا حـادثًـا وقـديـمـا   صـلّـوا عـلـيـه وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا

شـمـسُ الـهـداية، بـدرُها الـمـلـتـاحُ
قـطـبُ الـجـلالـة، نـورهـا الـوضّـاحُ
غـيـثُ الـسـمـاحـة لـلـنـدى يـرتـاحُ

يـروي بـكـوثـره الـظـمـاء الـهـيـمـا   صـلّـوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا

تـاجُ الـنـبـوة، خـاتـمُ الأنـبـاء
صـفـوُ الـصـريـح، خُـلاصـةُ الـعـلـيـاء
نـجـلُ الـذبـيـح، سـلالـةُ الـعـلـمـاء

بُـشـرى الـمـسـيـح، دعـاء إبـراهـيـمـا   صـلّـوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا

فـخـرٌ لآدم قـد تـقـادم عـصـرُهُ
مـن قـبـل أن يـدري ويـجـري ذكـرُهُ
سـرٌّ طـوَاهُ الـطـيـنُ فـهَّـمَ نـشـرُهُ

مـعـنـى الـسـجـودِ لآدمٍ تـفـهـيـمـا   صـلّـوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا

لله فـضـل الـمـصـطـفـى الـمـخـتـار
مـا إن لَـهُ فـي الـمـكـرمـات مُـجـاري
ولا مـبـارٍ بـاخـتـصـاص الـبـاري

بـالـحـقِّ قـدّم مـجـدهُ تـقـديـمـا   صـلّـوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا

أوصـاف سـيـدنـا الـنـبـي الـهـادي
مـا نـالـهـا أحـدٌ مـن الأمـجـادِ
فـالـرُّسـل فـي هـدي وفـي إرشـادِ

قـدْ سـلّـمـوا لـنـبـيـنـا تـسـلـيـمـا   صـلّـوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا

آيـاتـه بَـهَـرَتْ سـنـا وسـنـاءً
وأفـادت الـقـمـريـن مـنـهُ ضـيـاءً
وعـلـتْ بـأعـلام الـظـهـور لـواءً

فـهـدى بـه الله الـصـراط قـويـمـا   صـلّـوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا

دنـت الـنـجـومُ الـزُّهـرُ يـومَ ولادتـهْ

ورأت حــلــيــمــةُ آيــةً لــســيــادتــهْ
وتــحــدثــتْ ســعــدٌ بــذكــر ســعــادتــهْ
فــتــفــاءلــوا نــعــمَ الــيــتــيــمُ يــتــيــمــا صــلّــوا عــلــيــهِ وســلّــمــوا تــســلــيــمــا

لــمّــا تــرعــرع جــاءهُ الــمــلــكــانِ
بــالــطــســتِ فــيــهــا حــكــمــة الــرحــمــن
فــاســتــخــرجــا الــقــلــبَ الــعــظــيــمَ الــشــانِ
مــنــهُ وطُــهِّــر ثــم عــادَ ســلــيــمــا صــلّــوا عــلــيــهِ وســلّــمــوا تــســلــيــمــا

كــرمــت مــنــاشــي أحــمــد خــيــر الــورى
وجــرى لــه الــقــلــم الــعــلــيّ بــمــا جــرى
مــا كــان ذلــكــمُ حــديــثًــا يُــفــتــرى
لــكــنّــهُ الــحــقُّ الــجــلــيُّ رســومــا صــلّــوا عــلــيــهِ وســلّــمــوا تــســلــيــمــا

مــا زالَ بــرهــانُ الــنــبــيِّ يــلــوحُ
يــغــدُو بــه الإعــجــازُ ثــمَّ يــروحُ
حــتــى أتــاهُ بــعــدَ ذاكَ الــروحُ
يــوحــي لــهُ وحــي الإلــهِ حــكــيــمــا صــلّــوا عــلــيــهِ وســلّــمــوا تــســلــيــمــا

شــهــدتْ لــه بــمــزيــة الــتــفــضــيــل
سُــوَرٌ وآيــاتٌ مــن الــتــنــزيــلِ
وصــلاةُ خــالــقــهِ أدلُّ دلــيــلِ
فــافــهَــمْــهُ واسْــمــع قــولَــهُ تــعــظــيــمــا صــلّــوا عــلــيــهِ وســلّــمــوا تــســلــيــمــا

إنّ الــرســولَ الــمــعــتــلــي الــمــقــدارِ
لــمــؤيّــدٌ مــنْ ربــه الــقــهّــارِ
بــالــمــعــجــزاتِ جَــلَــتْ عــمــى الأبــصــارِ
وشــفــت مــن أدواء الــضــلال ســقــيــمــا صــلّــوا عــلــيــهِ وســلّــمــوا تــســلــيــمــا

كــم شــاهــد لــمــحــمــدٍ بــنــبــوّتــهْ
فــي أيــدِ تــأيــيــد الإلــهِ وقــوّتــهْ
فــبــذاك أعْــلــى الله دعــوةَ حــجّــتــهْ

فمضت حسامًا صارمًا وعزيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
البدرُ شُقَّ لَهُ ليُظهرَ صدقَهُ
والشمس قد وقفت تعظِّم حقَّهُ
والمزنُ أرسلَ إذ توسّلَ ودقَهُ
فاخضرَّ ما قد كان قبلُ هشيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
والماءُ بين بنائه قد سالا
عذبًا معينًا سائغًا سلسالا
كنداهُ يمنحُ رفدهُ من سالا
ويُنيلُ راجيهِ النوالَ جسيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
بركاتهُ أربَتْ على التعداد
كم أطعمتْ من حاضرين وبادي
من قصعةٍ أو حثيةٍ من زادِ
رزقًا كريمًا للجيوش عميما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
سجد البعير له سجودَ تذلل
وشَكا إليه بحرقةٍ وتململ
والشاةُ قال ذراعها: لا تأكل
منّي فإني قدْ ملئتُ سموما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
والغصنُ جاء إليه يمشي مُسْرعا
والصخرُ أفصحَ بالتحية مسمعا
والظبيةُ العجماءُ فيها شُفّعًا
والضبُّ كلّم أحمدًا تكليما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
والجذعُ حنَّ لهُ حنينَ الوالهِ
يبدي الذي يخفيه من بلبالهِ
أفلا يحنُّ متيَّمٌ بجمالهِ
يشتاقُ وجهًا للنبيِّ وسيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
ما بالنا نسلو وحبُّ حبيبنا

يقضي ببثّ غرامنا ونحيبنا
لو صح في الإخلاص عقد قلوبنا
لم ننسَ عهدًا للرسولِ كريما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

أين الدموع نفيضها هتّانا
أين الضلوعُ نقضُّها أشجانا
حتى نقيمَ على الأسى برهانا
لمتممٍ إرشادنا تَتْميما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

أوليس هادينا إلى سُبُلِ الهدى
أوليس منقذنا من أشراك الردى
أوليس أكرم من تعمّم وارتدى
أوَلَمْ يكُن أزكى البريةِ خيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

ذاكَ الشفيعُ مقامه محمودُ
ولواؤه بيد العلا معقودُ
فإذا توافَتْ للحساب وفودُ
قالوا: تقدَّمْ بالأنام زعيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

فيقوم بالبابِ العليّ ويسجدُ
ويقولُ: يا مولاي آنَ الموعدُ
فيجابُ: قلْ يُسمعْ إليك محمدُ
ونُريكَ منّا نضرَةً ونعيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

أعظِمْ بعزٍّ محمدٍ وبجاهِهِ
أكرمْ بهِ متوسلًا لإلهِهِ
شربتْ كرامُ الرُّسل فضْل مياهِهِ
فغدتْ تعظِّمُ حقهُ تعظيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

يا سامعي أخباره ومفاخِرهْ
ومُطالعي آثاره ومآثرهْ
ومؤملي وافي الثوابِ ووافرهْ

إن شئتمُ فوزًا بذاك عظيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

قلت: وكثيرًا ما كنت أنشد هذه القصيدة بالمغرب في مجالس التدريس، وأضيف إليها قبلها أخرى لبعض أهل المغرب الذين لهم في منازل الأمداح النبوية مقيل وتعريس، وهي قصيدة ميلادية كأنّما لم ينظمها مؤلفها إلّا مقدمة لهذه القصيدة الفريدة، وهي:

اسمعْ حديثًا قد تضمَّن شَرْحُهُ روضًا من الإيناس أينعَ دوحُهُ
فيه الشفاء لمن تكاثر بَرْحُهُ وافى ربيعٌ قَدْ تعطَّرَ نفحُهُ
أذكى من المسكِ الفتيق نسيما

شهرٌ حوى بوجود أحمد أسْعُدا بالمصطفى بين الشهور تفرَّدا
يا ما أجلّ سنا عُلاه وأمجدا لولادة المختار أحمد قد غدا
يزهو بهِ فخرًا تراه عظيما

يا مَنْ بأدمع مُقلتيه يغتذي كم ذا تنادي حسرة: مَن مُنقذي
وتقول للزفرات: هل من منفذ بُشرى بشهر فيه مولده الذي
سر الزمان علوّهُ تعظيما

يا ليلةً رُفعت بأحمدَ حُجْبُها لمّا دنا بعد التباعد قربها
وتطلعتْ للسعدِ فينا شُهبها ضاءت لها شرقُ البلاد وغربها
وتأنَّقتْ أرجاؤها تنعيما

أسدى إليك الدهر حُسْن صنيعه وحبَاك من غضّ الجنى ببديعه
وافى هلال محمدٍ بربيعه فاعتزَّ أمر الله عند طلوعه
وغدا به دين الإلهِ قويما

نظم الزمانُ بجيد عمرك درّهُ فاشكرْ مآثره وواصل بِرّهُ
وافاكَ بالسرّ المصون فسُرَّهُ واعرف لهذا الشهر حقًّا قدرهُ
فلقد غدا بين الشهور كريما

يا صاح جاءت بالأماني أسعدُ وأطلَّ بالبشرى الكريمة مولدُ
هذا ربيع فيه أنجز موعدُ شهرٌ كريمٌ جاء فيه محمدُ
صلّوا عليه وسلّموا تسليما

ثم قلت أنا عند ختم دَرْس «الشفا»، موطئًا لقصيدة ابن الجنان المذكور ولعذب براعتها مرتشفًا، ما نصه والأعمال بالنيات:

انشقْ أزاهرَ عن فنونِ رياضِ ... للعلم واكرَعْ من عذاب حياضِ
واسقِ الرياضَ بذكره الفيّاضِ ... واحفظْ كلامًا للإمام عياضِ
قَدْ تممت أقسامه تتميما

له روضٌ منهُ أينَعَ دوحُهُ ... يجنى به من الكريم ومنْحُهُ
فهو الشفاء لمنْ تكاثر بَرْحُهُ ... مسكُ الختام بهِ تعطر نفحُهُ
فشذاه في الأرجاء صار شميما

فاضتْ علينا من هداه عوارفُ ... زهرٌ وأنوارٌ وظلٌّ وارفُ
ونمارقٌ مصفوفة ومطارفُ ... يا حُسْنَ ما أبداه فذٌّ عارفُ
دُرًّا بأسلاك الحديث نظيما

لمَ لا وبالملكِ الشفيع تشرفا ... خيرُ البريّة ركن أرباب الصفا
من أسعد الراجي وقصدًا أسعفا ... طه النبي الهاشميّ المصطفى
صلّوا عليه وسلّموا تسليما

وقد رأيت بعد وصولي إلى هذا الموضع من هذا الكتاب أن أذكر قصيدة ابن الجنان المذكور في روي تلك القصيدة غير مخمسة مستقلة بنفسها، وهي قوله رحمه تعالى:

صلّوا على خير البريّة خيما ... وأجلِّ من حاز الفخار صميما
صلوا على من شُرّفَتْ بوجوده ... أرجاءُ مكة زمزمًا وحطيما
صلوا على أعلى قريشٍ منزلًا ... بذرَاه خيَّمت العُلا تخييما
صلوا على نور تجلّى صبحه ... فجلا ظلامًا للضلال بهيما
صلوا على هادٍ أرانا هديه ... نهجًا من الدين بالمؤمنين قويما
صلوا على هذا النبي فإنه ... من لم يزلْ بالمؤمنين رحيما
صلوا على الزاكي الكريم محمدٍ ... ما مثله في المرسلين كريما
ذاكَ الذي حاز المكارمَ فاغتدتْ ... قد نُظِّمتْ في سلكه تنظيما
من كان أشجع من أُسامة في الوغى ... ولدى الندى يحكي الحيا تجسيما

حكمت المحيّا ذو حياءٍ زانهُ وسط النّديِّ وزاده تعظيما
وبدت شواهد صدقه قد قسمت بدرَ الدُّجى لقسيمه تقسيما
والشمس قد وقفت له لمّا رأتْ وجهًا وسيمًا للنبي وسيما
كمْ آيةٍ نطقتْ تصدِّقُ أحمدا حتى الجمادُ أجابه تكليما
والجذعُ حنَّ حنينَ صبّ مغرمٍ أضحى للوعات الفراق غريما
جلَّت مناقبُ خاتم الرسل الذي بالنّور ختم والهدى تختيما
وسمت به فوق السماء مراتبٌ بمقام صدق عزّ فيه مقيما
فله لواء الحمد غير مدافعٍ وله الشفاعةُ إذ يكون كليما
نرجوه في يوم الحساب، وإنّما نرجو لموقفه العظيم عظيما
ما إنْ لنا إلّا وسيلةُ حبهِ وتحيةٌ تذكو شذًا وشميما
ولخير ما أهدى امرؤ لنبيّه أرَجُ الصلاة مع السلام جسيما
يا أيّها الراجون منهُ شفاعةً صلّوا عليه وسلّموا تسليما

وهذه قصيدة بديعة مخمسة من كلام الشيخ الأستاذ أبي العلاء إدريس بن موسى القرطبي(1) في مدح رسول الله (ﷺ)، وقف عليها أبو عبد الله ابن الجنان المذكور وقرظها بما سنذكره بعدها قريبًا، وهي:

أهلًا بكم يا أهل هذا النادي أهل اعتقاد الوعد والميعاد
أهدوا الصلاة إلى النبي الهادي وصلوا السلامَ له مع الآيادِ
يندى نسيمًا مذكرًا تسنيما

هو أولُ الشفعاء يوم المحشر وسواه بين تقدّمٍ وتأخّرِ
بهت الحضورُ لهول ذاك المحضرِ والكلُّ في الخطب العميم الأكبرِ
قدْ هيّمتْ ألبابهم تهييما

---

(1) هو إدريس بن محمد بن موسى الأنصاري القرطبي، مال إلى العربية والآداب وأقرأ ذلك بقرطبة إلى أن تملكها الروم فخرج إلى سبتة وأقرأ هنالك؛ وكانت له مشاركة في النظم والنثر مع غلبة الانقباض عليه والصلاح؛ توفي آخر سنة 647هـ (التكملة 197).

ذاك المقامُ الأشهرُ المحمودُ هو للنبيِّ محمد موعودُ
فيه الشفاعةُ ذخرها موجودُ درك المراد وحوضهُ المورودُ
فضل الكليمَ بهِ وإبراهيما

لو فزت بالإحسانِ من حسّانِ وسحبتُ أذيالي على سحبان
أو أيدتني لسْنُ كلِّ زمانِ من كل ذي زعم عظيم الشانِ
ما كنتُ بالمعشار منهُ زعيما

إدريس حقَّتك الحقوقُ حفوفا هلّا خففتَ إلى الرسول خفوفا
وقريت بالعزم الهموم ضيوفا وشدوت أن هال الزمان صروفا
مَهْلًا كفاكَ معلمي التعليما

ثقةٌ بفضلِ الواحد القهار ملك الملوك مصرِّف الأعصار
جعلَ النبي مكرم الآثار وأمدَّه بالنصر والأنصار
وأتمَّ نعمتَهُ لَهُ تتميما

هلْ أجلون بصري بكحل سناه يا سعد من كحلَتْ به عيناه
ظفرت يداه، وساعدته مناه لله ذاكَ الأفق ما أسْناه
كرم المحل فيقتضي التكريما

ونص تقريظ ابن الجنان على هذه القصيدة هو قوله:

ما زالَ كلُّ حليفِ لله أضحى وليّا
وللعلومِ خليلًا وعَنْ سواها خليّا
يصوغُ عقْيانَ مدحٍ للهاشميِّ حليّا
ويوجبُ الحقَّ فيه إيجابَهُ الأوليّا
ويقتفي في رضاه نهجًا جليلًا جليّا
والكلُّ أحظاهُ حظٌّ فالفوزُ يُلفَى مليّا
لكنَّ إدريسَ منهم حاز المكانَ العليّا

ولا يخفاك أنه التزم في هذه القصيدة ما لا يلزم من اللام قبل الياء، رحمه الله تعالى.

ولا بأس أن نورد هنا ما حضر من التخميسات الموافقة لتخميس ابن الجنان

المذكور السابق أولًا في البحر والروي والمنحى الذي لا يضل قاصده، وكيف لا وهو مدح[1] الجناب الرفيع العظيم النبوي.

فمن ذلك قول أبي إسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الإشبيلي، فإن بعضًا ذكر أنّها من قوله لما أظهر الإسلام، وهي لا تقتضي رفع الريبة فيه والاتهام[2]:

جعل المهيمن حبّ أحمد شيمةً
وأتى به في المرسلين كريمةً
فغدا هواه على القلوب تميمةً
وغداه هداه لهديهم تتميما — صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

أبدى جبينُ أبيه شاهد نوره
سجعتْ به الكهّانُ قبل ظهوره
كالطير غرَّدَ معربًا بصفيره
عن وجه إصباح يطلُّ نسيما — صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

أَنْسُ الرسالة بعد شدة نفرةٍ
منَجّى البرية وهي في يد غمرةٍ
محيي النبوة والهدى عن فترةٍ
فكأنّما كفلَ الرشاد يتيما — صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

عيسى وموسى والخليل مروَّعُ — من هول مطلع هنالك يَفْظَعُ
فيقال أحمدُ قلْ فإنك تُسْمَعُ — فيقومُ يحمد ربه فيشفَّعُ
فضلًا من الرب العظيم عظيما

يا أمةَ المختار أنتُم أمة — والهولُ قد عم البسيطة يمه
والأنبياء سواه كلّ همّه — تخليصُ مهجته وليس يهمّه
من كان في الدنيا عليه كريما

---

(1) مدح: سقط من ق.

(2) لم أجد هذه المخمسة منسوبة لابن سهل الإسرائيلي إلا في النفح، ولم ترد في ديوانه (ط. صادر 1967).

صلى الإله على الذي صلى عليه عشرًا بواحدة يزكيها لديه
وأراه في الدارين قرَّةَ ناظريهْ يا قاصدين إلى وصولكم إليه
راجين من أرجِ القبول نسيما
لولا وصيّةُ صاحب التنزيل أن لا يقال له غُلُو القيل
قولُ الغلاة لصاحب الإنجيل لغلوتُ في التعظيم والتبجيل
عظم المكانة يوجب التعظيما
طوبى لقلب قد تلالا إذ صفا بالسرِّ منهُ قد تبت إذ هفا
خُطَّت به آياتُ حبّ المصطفى فغدا لصاحبه بذلك مصحفا
يهدي إلى نهج النجاة قويما
فاقتْ علا ذكراه إذا راقتْ حُلى ملأ النبوة أمهم حين اعتلى
في ليلة الإسراء أعلى معتلى كتب الإله له التقدم في العلا
وعليهم التفويض والتسليما
وكذاك يسلم في الشفاعة كلهم ومحلهم عند الإله محلهم
ظلُّ النبيُّ محمدٍ هو ظلهم يمشون تحت لوائه فيدلهم
يندى عليهم بهجةً ونعيما
أوصافه من كل حسنٍ أبهجُ العرفُ ينفحُ والسنا يتبلَّجُ
فتأرج الأرجاء منه وتبهجُ فاقَ الزواهرَ نورها يتوهَّجُ
والزهرُ نفاح النسيم وسيما
طلق المحيا منهلٌ للنائلِ أنحى على الدنيا بزهدٍ كاملِ
هو مَثّل الدنيا بظلٍّ زائل لم تُرضِهِ حالُ النَّعيم الحائلِ
ما حاول الترفيه والتنعيما
ما ورّث المختارُ مالَ مؤملِ إلا جواهرَ في الكتاب المنزل
أشهى لقلب الناظر المتأمّلِ وأقرّ إعجابًا لعين المجتلي
من كل قيمة مقتضٍ تقويما
وفِّقْتَ يا مَنْ لم يخالف نَصّهُ حزت الكمال وليس تخشى نقصهُ

نهج الهدى قول النبي اقتصّهُ بالوحي شرَّفه الإله وخصَّهُ
شرفًا على شرف السناء صميما
سبحان مُوحٍ لا يحدُّ له الكلامْ من قال ذات كلام خلاق الأنام
خلقٌ فذلك آثم كل الأثام ذاك الذي في الدين ليس له ذمام
إلا ذمامٌ لا يزال ذميما
ضلَّ الذي يبغي الهدى مما سواه وهوى به في كل مهواة هوَاه
من فارق الفاروق قد تبت يداه حيران لم يُهدَ السبيل إلى هداه
لا يعرف التحليل والتحريما
بالمدح مجد المصطفى يممته من حلي أوصافٍ لهُ نظمته
لم أبلغِ المعشارَ إذ أحكمته بعضًا نسيتُ وبعضه ألهمته
قلّدتهُ جيد الزمان نظيما
اللهُ أوضح فضله فتوضحا
والله بيّن حبّه في (والضحى)
والجذعُ حنَّ لهُ هوى فترنحا
والماءُ فاض بكفّه تسنيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
ريا الرواية عنْ عُلاه زكية
نجواهُ ربانيةٌ ملكية
أوصافُهُ عُلويَّة فلكية
فإخالُ شعري عندها تنجيما[(1)] صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
احتث في السبع الطباق بُراقه
والأرضُ واجمة تخاف فراقَهُ
سبحانَ من أدنى سُراه فساقَهُ
شخصًا على ملك الملوك كريما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
فاشتَّم ريحان القلوب الطيبا

---

(1) ق: تفخيما، وما أثبته أنسب.

ودنا فاسمع يا محمدُ مرحبا
إني جعلتك جار عرشي الأقربا
إن كنتُ قبلكَ قد جعلت كليما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

يا ليلةً يجري الزمانُ فتسبقُ
الحجبُ فيها والأرائجُ تُفْتَقُ
ما كانَ مسكُ الليلِ قبلك يعبقُ
بشرى محمد استفاد نسيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

حتى إذا اقتعدَ البراق لينزلا
نادتهُ أسرارُ السموات العُلا
يا راحلًا ودّعْتهُ لا عن قلى
ما كان عهدك بالغيوب ذميما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

صعد النجودَ وسار في الأغوارِ
سمك السما طورًا وبطنَ الغارِ
متقسمًا في طاعةِ الجبّارِ
ما أشرف المقْسوم والتقسيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

الشافعُ المتوسلُ المتقبّلُ
القانتُ المدَّثِّرُ المزَّمِّلُ
وافى وظهرُ الأرضِ داجٍ ممحلُ
فجلا البهيمَ به وأروى الهيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

دفعتْ كرامتُه الزنوجَ عن الحرمْ
ودعاه جبريلُ المنزه في الحرمْ
وعزتْ له آياتُ نونٍ والقلمْ
خُلقًا به شَهِدَ الإلهُ عظيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

طاو يُفيض الزاد في أصحابهِ
غيثٌ ولكن كان يُسْتَصْحى بهِ
طابَتْ ضمائرُ قلبهِ وترابهِ

منهُ بسرّ لم يكن مكتوما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

يا شوقي الحامي إلى ذاك الحمى
فمتى أقضيه غرامًا مغرما
ومتى أعانقه صعيدًا مكرما
بضمير كلّ موحِّدٍ ملثوما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

ومن ذلك قول بعض الوعاظ، وأظنه من أهل المشرق:

جلّ الذي بعث الرسول رحيما
ليردّ عنا في المعاد جحيما
وبه نُرجي جنةً ونعيما
أضحى على الباري الكريم كريما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

ما ضلّ عن وحي الإله وما غوى
حاشا رسول الله ينطق عن هوى
الصادقُ الثقةُ الأمينُ بما روى
قدْ نال من رب السماء علوما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

وافى لهُ الروحُ الأمين مبشرا
نادى به يا خيرَ مَنْ وطئ الثرى
أجب المهيمن يا محمدُ كي ترى
ملكًا كريمًا في السماء عظيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

فأجابه المختارُ حينَ دعا بهِ
ربُّ السموات العُلا لخطابه
ركبَ البراقَ وقد أتى لجنابه
أمسى لَهُ الروحُ الأمين نديما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

فمتى أرى الحادي يبشِّرُ باللقا
ويضمّه بانُ المحصَّبِ والنَّقا
وأرى ضريحَ المصطفى قد أشرقا
مولى حليمًا لنْ يزال رحيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

وأقول للزوار قد نلتُ المُنى
يهنيكم طيبُ المسرةِ والهَنا
واستبشروا من بعد فقرٍ بالغنى
فالله زادكمُ به تكريما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
ثم الرضى عنْ آله الكرماء
وكذاك عن أصحابه الخلفاء
فهواهمُ ديني وعقد ولائي
قومًا تراهم في المعاد نجوما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

ومنها قول بعض فضلاء المغاربة رحمه الله تعالى:

يا أمة الهادي المبارك أحمدِ
يهنيكمُ نيلُ الأماني في غدِ
بمحمدٍ فزتم ومَنْ كمحمدِ
إن شئتُم أن تدركوا التتميما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
صلُّوا على البدر المنير الزاهر
صلّوا على المسك الفتيق العاطر
صلُّوا على الغصن البهيّ الناضر
وتنَعَّمُوا بصلاتكم تنعيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
صلُّوا على من بالنبوة زُيِّنا
صلُّوا على من بالكمال تمكنا
بمحمد فزنا فإدراك المُنى
فضلًا منحنا حادثًا وقديما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
صلُّوا على البدر المنير اللائحِ
صلُّوا على الهادي الحبيب الناصح
صلُّوا على المسك الفتيق الفائح
للرُّشد فهَّم والهدى تفهيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
صلُّوا على من مجدُهُ قد أسسا

والـمـاءُ بـيـن بـنـانـه قـد بـجِّـسـا
وأتـت إلـيـه سِـرحـةٌ حـتـى اكـتـسـى
بـفـروعـهـا إذ خـيـمـتْ تـخـيـيـمـا صـلّـوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا

صـلُّـوا عـلـى مـن كـان يـبـصـر مـن قـفـا
وعـلـيـه سـلّـمـت الـجـنـادلُ والـصّـفـا
والـذئـبُ قـال صـدقـت أنـت الـمـصـطـفـى
وشـكـا إلـيـه بـازلٌ قـد ضـيـمـا صـلّـوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا

صـلُّـوا عـلـى مـن قـد شـفـى بـالـريـق
عـيـن الـضـريـر ولـدغـة الـصـديـق
وأعـاد طـعـم الـمـاء مـثـل رحـيـقِ
إذ مـجَّ فـيـه الـعـنـبـر الـمـخـتـومـا صـلّـوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا

صـلُّـوا عـلـى مـن بـالـمـلائـك جـيّـشـا
وغـدتْ تـظـلّـلـه الـغـمـامُ إذا مـشـى
حـرسـتْ سـمـاءُ الله لـمّـا أن نـشـا
لـيـكـونَ سـرُّ حـبـيـبـه مـكـتـومـا صـلّـوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا

صـلُّـوا عـلـيـه كـلّ حـيـن تـربـحـوا
وبـهـديـه مـهـمـا اهـتـديـتـم تـفـلـحـوا
والأجـر يـشـمـلـكـم فـجـدّوا تـنـجـحـوا
وإذا أردتـم أن يـكـون عـظـيـمـا صـلّـوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا

صلُّوا بـجـمـعـكـم عـلـى شـمـس الـهـدى
صـلُّـوا عـلـى بـدر يـزيـن الـمـشـهـدا
صـلُّـوا عـلـيـه بـه الـرشـاد تـمـهّـدا
والـذكـرُ بـيـن فـضـلـه تـفـخـيـمـا صـلّـوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا

صـلُّـوا بـإخـلاصٍ عـلـى خـيـر الـبـشـرْ
صـلُّـوا عـلـى مـن فـاق حـسـنًـا واشـتـهـرْ

ونـمـتْ فـضـائـلُـهُ وشـقّ لـه الـقـمـرْ
ولـكـمْ دلـيـل فـي عـلاه أُقـيـمـا صـلّوا عـليـهِ وسـلّـموا تـسـليـمـا

صـلُّـوا عـلـى مـن قـد رأى الـرحـمـانـا
بـالـقـلـب أو بـالـعـيـن مـنـه عـيـانـا
عـن قـاب أو أدنـى مـقـام كـانـا
فـخـذ الـفـوائـد كي تـفـاد عـلـومـا صـلّوا عـليـهِ وسـلّـموا تـسـليـمـا

صـلُّـوا عـلـيـه كـلـكـم لا تـسـأمـوا
وتـبـرّكـوا بـصـلاتـه وتـنـعّـمـوا
فـعـلـيـه صـلـى الأنـبـيـاءُ وسـلّـمـوا
شـرفًـا لـهـم إذ أمّـهُـمْ تـقـديـمـا صـلّوا عـليـهِ وسـلّـموا تـسـليـمـا

يـا حـاضـريـن بـلـغْـتُـمُ كـل الـمـنـى
عـن جـمـعـكـم مـن فـضـلـه ذهـب الـعـنـا
وإلـيـكـم والله قـد وجـب الـهـنـا
بـمـحـمـدٍ كـرمْـتُـم تـكـريـمـا صـلّوا عـليـهِ وسـلّـموا تـسـليـمـا

قـولـوا بـرغـم مـعـانـديـن وحُـسّـد
كـي تـرغـمـوا أنـفًـا لـكـل مـفـنِّـد
صـلـى الإلـهُ عـلـى الـنـبـي مـحـمّـد
أبـدًا وزاد لـقـدره تـعـظـيـمـا صـلّوا عـليـهِ وسـلّـموا تـسـليـمـا

يـارب يـا ذا الـمـنِّ والإحـسـان
جُـدْ بـالـرضـى والـعـفـو والـغـفـران
لـلـوالـديـن ومـنـشـد الأوزان
والـسّـامـعـيـن أنـلـهـمُ تـنـعـيـمـا صـلّوا عـليـهِ وسـلّـموا تـسـليـمـا

صـلَّـى عـلـيـه الله مـا اجـتـمـع الـمـلا
صـلَّـى عـلـيـه الله مـا قـطـع الـفَـلا
صـلَّـى عـلـيـه الله مـا انـتـجـعَ الـكـلام
أبـدًا ومـا رعـت الـسَّـوَامُ هـشـيـمـا صـلّوا عـليـهِ وسـلّـموا تـسـليـمـا

ومن ذلك قول الإمام العالم الشهير الأديب مالك بن المرحل المالقي[1] ثم السبتي، وهي من غرر القصائد، وفيها لزوم ما لا يلزم من ترتيبها على حروف المعجم بجعلها بدءًا ورويًّا على اصطلاح المغرب:

ألــف: أجــلُّ الأنــبــيــاء نــبــيء
بــضــيــائــه شــمــس الــنــهــار تــضــيء
وبــه يــؤمّــلُ مــحــســن ومــســيء
فــضــلًا مــن الله الــعــظــيــم عــظــيــمــا صــلّــوا عــلــيــهِ وســلّــمــوا تــســلــيــمــا

بــاء: بــدا فــي أفــق مــكــة كــوكــبــا
ثــم اعــتــلــى فــجــلا ســنــاه الــغــيــهــبــا
حــتــى أنــار الــدهــرُ مــنــه وأخــصــبــا
إذ كــان فــيــضُ الــخــيــر مــنــه عــمــيــمــا صــلّــوا عــلــيــهِ وســلّــمــوا تــســلــيــمــا

تــاء: تــبــيــنــت الــهــدى لــمّــا أتــى
فــنــفــى الــشــريــك عــن الــقــديــم وأثــبــتــا
أحــديــةً مــن حــاد عــنــهــا قــدْ عــتَــا
وتــلا كــلامًــا لــلــكــريــم كــريــمــا صــلّــوا عــلــيــهِ وســلّــمــوا تــســلــيــمــا

ثــاء: ثــوى فــي الأرض مــنــه حــديــث
فــي كــل أفــقٍ طــيــبُــهُ مــبــثــوثُ
داعٍ بــأنــواع الــهــدى مــبــعــوث

(1) مالك بن عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن بن الفرج ابن أزرق بن سعد بن سالم بن الفرج ت769هـ مولى بني مخزوم، مالقي، سكن سبتة طويلًا ثم مدينة فاس، ثم عاد إلى سبتة مرة أخرى، وبآخره فاس، يكنى أبا الحكم وأبا المجد، ويعرف بابن المراحل، لأن جده علي لما رحل من شنتمرية Santa Maia de Algarve حين إسلامها للروم عام 565هـ، كان شاعرًا تولى القضاء مرات بجهات غرناطة Granda! وكان حسن الكتابة، صنف كتاب «الرمي بالحصى والضرب بالعصا» و«اللؤلؤ والمرجان» ينظر: ابن عبد الملك المراكشي، «الذيل والتكملة» لكتابي الصلة (السفر الثامن) تحقيق: محمد بن شريعة من 527، السيوطي، بغية الوعاة، ص384، ابن القاضي، جذوة الاقتباس، ص223، ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، (بيروت، 1424هـ/ 2002م) ج2، 331-247.

يتلو نجومًا أو يهز نجوما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

جيم: جلا بسراجه الوهاج
ما جنّ من ليل الظلام الداجي
وسقى القلوب بمائه الثجاج

فأصارها بعد الغموم غميما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

حاء: حمى دين الهدى بصفائح
وسما بشُم كالجبال أراجح
من كل أزهر هاشميٍّ واضح

لولا نداهُ غدا النبات هشيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

خاء: خبتْ نيران جهل شامخ
آيات علم للرسالة راسخ
من مثبت ماح ومنس ناسخ

قد خص بالذكر الحكيم حكيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

دال: دعا فأجاب كلُّ سعيد
وأتى بوعدٍ صادقٍ ووعيد
حتى أقرّ الناسُ بالتوحيد

وتجنبوا الإشراك والتجسيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

ذال: ذُبابُ حسامه مشحوذُ
للناكثين، وعهدهم منبوذُ
أمّا السعيدُ فبالنبيِّ يلوذُ

فيدال من ذُلِّ الشقاء نعيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

راء: روينا عن ذوي الأخبار
أنّ الندى والبأس مع إيثار
بعض صفات المصطفى المختار

كمْ قد تقدم بالأنام زعيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

زاي: زعيمٌ بالنزال عزيزُ

وبليغُ معنى في المقال وجيزُ
فلقوله من فعله تعزيزُ
ولربما عاد الكلام كُلُوما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
طاء: طويلُ السيف متسعُ الخُطا
رحب الذراع ومن يمد لهم سطا
يردي العدا وإذا ارتدى متخمطا
يبري عذابًا إذ ألام أليما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
ظاء: ظهير للعباد حفيظُ
حظ لدى ربِّ العباد حظيظُ
حقّ لهُ التأبينُ والتقريظُ
ميتًا وحيًّا ظاعنًا ومُقيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
كاف: كريم العنصرين مباركُ
متفردٌ بالجاه ليس يشاركُ
فهو الذي بمقامه يتداركُ
والهول يغدو مقعدًا ومقيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
لام: له عقد اللواء الأحفلُ
ولهُ الشفاعةُ في غد إذ تسأل
وإذا دعا فدعاؤه متقبّلُ
حق الرحيم بأن يرى مرحوما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
ميم: ملائكة الإله تسلم
فوجًا عليه إذ بدا وتعظّم
ويمرُّ جبريل بها يتقدّم
فيضاعف التعظيم والتكريما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
نون: نبيٌّ جاءنا ببيانِ
وبمعجزاتٍ أبرزت لعيانِ
وبحسبه أن جاء بالقرآنِ

يشفي قلوبًا تشتكي وجسوما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
صاد: صفيٌّ للإله ومخلصُ
ومقرّبٌ ومفضّلٌ ومخصصُ
ذهبٌ سبيك وزنه لا ينقصُ
قد طاب خيمًا في الورى وأروما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
ضاد: ضمينٌ نصحه ممحوضُ
ضافي القراءة بالعلوم يفيض
إن غاض ماء البحر ليس يغيضُ
لمّا استمرّ زلالُهُ تسنيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
عين: عزيزٌ ذكرُهُ مرفوعُ
في الأنبياء وقولُهُ مسموعُ
مشروح صدر حبّه مشروعُ
من لا يدين بذاك كان ذميما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
غين: غزا من زاغ عنه ومن طغى
وغدا يشبُّ لمن طغى نار الوغى
حتى أقامت من عصى بعد الصفا
وتقوِّمُ النارُ العَصا تقويما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
فاء: فواتحُ سورة الأعراف
وبراءة والرعد والأحقاف
أحظتْهُ بالأقسام والأوصاف
فمتى توفي حقهُ منظوما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
قاف: قوافي النظم عنه تضيقُ
أيطيقُهُ الإنسانُ ليس يطيقُ
فالخلقُ في التقصير عنهُ خليقُ
ولو أنهم ملأوا الفضاء رقوما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
سين: سلام كالنفيس تنفّسًا

وقد أجتني وردًا وصافح نرجسا
أهدى إليه في الصباح وفي المسا
بقصائد كادت تكون نسيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
شين: شمائله الكريمة تعطشُ
من كان من سكر المحبة يرعشُ
لكن أضاعَ العمرَ فيما يوحشُ
فغدت ندامتهُ عليه نديما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
هاء: هو الهادي الذي اقتدح النُّهى
فتفكرت في ملك من رفع السُّها
وقضى بحدّ للأمور ومنتهى
فأفادها النظر السديد عموما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
واو: وهي ركن التجلد، بل هوى
لمّا ثوى في الترب من بعد التّوى
فحوى الضريح الرحب نجمًا ما غوى
أجرى من الدمع السجوم سجوما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
لام: لأجلك فاض دمعي جدولا
فاخضرّ آس أساك إذ يبس الكلا
يا خيرَ من كلأ المكارم والعُلا
وحمى الحمى ورمى فأعمى الروما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
ياء: يحييّه ويسقيه الحيا
ربُّ العباد مجازيًا وموفيًّا
ومشرفًا ومسلمًا ومصليا
يا مسلمين ورثْتُمُ التسليما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

ومن ذلك قول الفقيه الكاتب أبي العباس أحمد بن محمد بن العباس المغربي حسبما نقلته من المجلد الخامس والعشرين من كتاب «منتهى السول في مدح الرسول» للحسن بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عذرة المغربي الأنصاري

رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا بقصده، وهي أيضًا مرتبة على حروف المعجم ما عدا الابتداء وبيوت الانتهاء، غير أن ترتيب حروف المعجم في آخر الأشطار ولم يلتزم صاحبها الابتداء كما فعل مالك بن المرحل، رحمه الله تعالى:

الله زاد المصطفى تعظيما
وقضى لهُ التفضيلَ والتقديما
وأنالَهُ شرفًا لديه جسيما
فهو المُتمّم فَخْرُهُ تتميما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

صلُّوا على من خصّ بالأنباء
وأبوهُ ما بين الثرى والماء
ثمَّ استمرَّ النور في الآباء
فتوارثُوه كريمة وكريما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

صلُّوا على بدر بدا من يثرب
فأضاء بالأنوار أقصى المغرب
وجلا عن الدنيا دياجي الغيهب
فبدا لنا نهج الرشاد قويما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

صلُّوا على من بالشرائع قد أتى
وأباد أحزاب الطغاة وشتتا
وأبان أسباب النجاة ووقتا
للأمّة التحليلَ والتحريما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

صلُّوا على من بالغيوب يحدّثُ
وبروعه الروح المقدس ينفثُ
محبوبنا وشفيعنا إذ نبعثُ
في يوم لا يدري الحميم حميما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

صلُّوا على صبح الهدى المتبلج
صلُّوا على بحر الندى المتموج
صلُّوا على روض الجمال المبهج
كيما تنالوا الفوز والتنعيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما

صلُّوا على غيث الأنام السافح
صلُّوا على المسك الذكيّ النافح
أزرتْ روائحه بكل روائح
فالأرض طبّقها شذاه نسيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
صلُّوا على من عهده لا يُفسخ
صلُّوا على من شرعه لا ينُسخ
صلُّوا على من حزبه لا يُمسخ
نبأ يفهّم فضله تفهيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
صلُّوا على من فخره لا ينفد
صلُّوا على من فضله لا يجحد
أنى وكتب الرسل طُرًّا تشهد
تنبي اليهود بفضلهِ والروما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
صلُّوا على من قد حمى عنا الأذى
ومن الغواية والضلالة أنقذا
صلُّوا على من ذكره نعم الغذا
وبمدحه نروي القلوب الهيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
صلُّوا بإخلاص على خير البشر
من قبل نشأته المباركة اشتهر
كم كاهن عنه أبان وكم خبر
ولكم دليل في علاه أقيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
صلُّوا على من جلّ مولده وعز
ضاءت قصور الشام لمّا أن برز
وتدانت الشُّهب الثواقب كالحرزْ
أو كاللآلي نظّمت تنظيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
صلُّوا على من يوم مولده سطا
بجميع آلهة الضلالة والخطا

وهـوى لـه عـرش الـلـعـيـن وأسـقـطـا
والـفـرس هـدّم صـرحـهـم تـهـديـمـا صـلّوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا
صـلُّـوا عـلـى مـن لـيـس فـظًّـا غـالـظًـا
لأخـيـه فـي الإرضـاع كـان مـحـافـظـا
فـاعـجـب لـذلـك كـيـف كـان مـلاحـظـا
لـلـعـدل فـيـنـا مـرضـعًـا وفـطـيـمـا صـلّوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا
صـلُّـوا عـلـى مـن شـأوه لا يـدركُ
صـلُّـوا عـلـى مـن شـأوه لا يـشـركُ
مـوسـى وعـيـسـى والـخـلـيـل تـبـركـوا
بـلـقـائـهِ وعـنَـوا لـهُ تـسـلـيـمـا صـلّوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا
صـلُّـوا عـلـى مـن خـلـفـه صـلـى الـرسـل
شـرف عـلـى تـمـكـيـن عـزتـه يـدل
فـإذن فـقـل هـو سـيـدٌ لـهـم ودل
لا تـخـش تـوبـيـخًـا ولا تـحـشـيـمـا صـلّوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا
صـلُّـوا عـلـى مـن قـد سـرى نـحـو الـسـمـا
لـيـلًا وعـاد ومـا بـرحـنـا نـومـا
بـالـروح والـجـسـم الـمـطـهّـر قـد سـمـا
قُـلْـهُ وراغـم مـن أبـى تـرغـيـمـا صـلّوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا
صـلُّـوا عـلـى مـن قـد رأى الـرحـمـانـا
بـالـقـلـب أو بـالـعـيـن مـنـه عـيـانـا
مـن قـاب أو أدنـى مـكـان كـان
فـخـذ الـفـوائـد واحـذر الـتـجـسـيـمـا صـلّوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا
صـلُّـوا عـلـى مـن بـالـمـحـبـة خُـصّـصـا
والـقـلـبُ مـنـه شُـقَّ حـتـى خـلّـصـا
مـن حـظّ إبـلـيـس الـلـعـيـن ومـحّـصـا
وأعـيـد مـا إن يـشـتـكـي تـثـلـيـمـا صـلّوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا

صلُّوا على من بالسيادة قد حضي
وانشقَّ إكرامًا له البدر المضي
ولكم دليل كالصباح الأبيضِ
فاسمع وكن بالمعجزات عليما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
صلُّوا على من كلّمته ذراعُ
وبفضله كفت المئينَ الصاعُ
والجذعُ حن لهُ وما الأجذاعُ
بأرقّ منا أنفسًا وفُهوُما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
صلُّوا على من مدحُهُ لا يفرغُ
ماذا عسى مدّاحه أن يبلغوا
فإلهنا يثني عليه ويبلغ
فاقرأ تجده محكمًا تحكيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
صلُّوا على من كان يبصر بالقفا
وعليه سلّمت الجنادل والصّفا
والذئب قال صدقت أنت المصطفى
وشكا إليه بازلٌ قد ضيما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
صلُّوا على من قد شفى بالريق
عين الضرير ولدغة الصدّيق
وأعاد طعم الماء مثل رحيقِ
إذ مجَّ فيه العنبر المختوما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
صلُّوا على من مجده قد أسسا
والماء بين بنانه قد بجسا
وأتتْ إليه سرحةٌ حتى اكتسى
بفروعها إذ خيمت تخييما صلّوا عليهِ وسلّموا تسليما
صلُّوا على من بالملائك جيّشا
وغدت تظلّله الغمام إذا مشى

حـرسـت سـمـاء الله لـمّـا أن نـشـا
لـيـكـون سـرّ حـبـيـبـه مـكـتـومـا صـلّـوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا
صـلُّـوا عـلـى مـن قـد حـبـاه إلـهـهُ
بـالـكـوثـر الـمـروي لـنـا أمـواهـهُ
فـي يـوم حـشـر الـخـلـق يـظـهـر جـاهـهُ
إذ يـقـدم الـرسـلَ الـكـرامَ زعـيـمـا صـلّـوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا
صلُّوا على من خُص بالحوض الروى
وكـذاك خـصـصّ بـالـمـقـام وبـالـلـوا
نـوحًـا وآدم والـكـلـيـم قـد احـتـوى
وابـن الـبـتـول حـوى وإبـراهـيـمـا صـلّـوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا
صـلَّـى عـلـيـه الله مـا قُـطـع الـفـلا
صـلَّـى عـلـيـه الله مـا اجـتـمـع الـمـلا
صـلَّـى عـلـيـه الله مـا انـتـجـع الـكـلا
أبـدًا، ومـا رعـت الـسـوام هـشـيـمـا صـلّـوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا
صـلَّـى عـلـيـه الله مـا هـطـل الـحـيـا
صـلَّـى عـلـيـه الله مـا الـتـمـعَ الـضـيـا
فـلـقـد شـفـى الـدنـيـا مـن الـداء الـعـيـا
ولـقـد حـمـى عـنّـا لـظـى وجـحـيـمـا صـلّـوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا
لله سـيـدنـا الـنـبـي الأكـمـل
لله بـرقُ جـبـيـنـه الـمـتـهـلـل
لله جـودُ يـمـيـنـه الـمـتـهـطّـل
أحـيـا وأغـنـى بـالـنـوالِ عـديـمـا صـلّـوا عـلـيـهِ وسـلّـمـوا تـسـلـيـمـا

❋ ❋ ❋

المبحث الخامس

المعاني والقيم الدينية في وصف نعل الرسول ﷺ

وإذ جرى ذكر النعل النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، فلا بد أن نورد جملة مما قيل في مثالها على جهة التبرك، والتوسل بصاحبها إلى الله سبحانه، أن يفرج عنا بجاهه كرب الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا من الذين حازوا الرتب الفاخرة، وظفروا بالمقام الأسنى، وفازوا بالزيادة والحسنى. الإمام الشهير أبي الربيع بن سالم الكلاعي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، التي على رويها سلك ابن الآبار رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأبيات المذكورة آنفًا:

خبال عرا ما إن جناه سوى النوى
نوى من نويمن كشف بلواي ما نوى
فيا منكر منا ما عراني في الهوى
«خواطر ذي البلوى عوامر بالجوى فغي كل يوم يعتريه خبال»
سمعت اسمه الأعلى الشريف المشرفا
فخيلتُني يعقوب ذكر يوسفا
ومن شيم الصب المتيم ذي الوفا
«متى يدع داعٍ باسم محبوبه هفا فيهتاج بلبال ويكسف بال»
رعى الله صبا بالهوى نفسه سمت
له آية في الحب بالكتم أحكمت
فما لم يلح من حه أثر صمت
«وإن ير من آثاره أثرًا همت له من غروب المقتلين سجال»
فيا نفسي الجالي دجاها هلالها
أما إِنَّةَ نور البدور كمالها

ألا فاعذري نفسا تحت فحالها

فمن ذلك قول الشيخ أبي عبد الله محمد بن فرج، فخمسا من الأبيات:

«كحاكي وقد أبصرت نعلا مثاليا لنعل الرسول الهاشمي مثال»

ويا أيها الرائي إلي مفيدا
هوى كدت نهي حبي لأسجدا
هوى وجوى إنْ يبل دهر تجددا

«عراني ما يعرو المحب إذا بدا لعينيه من مغني الأحبة آل»

ذكرت بع عصرًا مضى ومعاهدا
فنوديت من نفس نداءً مساعدا
وجدت فعادوا لثمة تدع وجدا

«فقبلت في ذاك المثال معاودا أرى أنَّ ذلي في هواه جلال»

وشبهته صفحا ونفحا حديقةً
مفتحة الأزهار غَنّى أنيقة
شقتها غوادٍ قد غدون غديقة

«ومثلته نعل الرسول حقيقة وإني لأدري أنَّ ذاك محال»

فيا جاهلا داء المحبين والدوا
غويت ولا تدري فلا كان من غوى
أتنكر لثم المثل في حالة النوى

«ومن سنة العشاق أنْ يبعث الهوى مثال ويقتاد الغرام خيال»

تساوت معاني الحب في كل مقصد
فمن مقلة عبري وجفت مسهد
وبرح وتهيام وشوق مجدد

«فلا فرق إلّا أنَّ حُبَّ محمّد هدى والهوى فبمن عداه ضلال»

ولمحمد بن فرج المذكور عفا الله عنه، وتقبل بكرمه ورحمته منه؛ قطع حروف المعجم، في لزوم ما لا يلزم؛ وسماها بـ«القطع الخمس، في مدح النعال المقدسة».

قال رَحِمَهُ اللهُ حسبما نقلت من خطه :

وآثرت التخميس من التعشير، ليكون أسرع لحفظها، وأبرع للفظها؛ وأيضًا فوجود خمس من القوافي في نظم لزومي أو نثر، أهون على الفكر من وجود عشر. هذا وإنْ كان اللسان العربي فصيحًا فسيحًا لا يضيق، ولا يكاد يخرج عنه لسان كل فريق؛ ليس من شرط المطالعة، أنْ يحفظ الغريب من الكلام كل من طالعه؛ والله سبحانه أسأل أنْ يجعلها من القربات التي تنفع، والوسائل التي تشفع، والتمائم التي تذود كل سوء في الدارين وتدفع، وصلى الله على الشفيع المشفع؛ وسلم تسليمًا، من آفة الانفصال سليمًا.

قافية الهمزة

أتمثال نعل كان يلبسها الذي ... إذا عُدت الأرسال ليس له كفء
أبو القاسم الأسمى الذي وطئ السما ... بأخمصه ليلا فشرفها الوطء
أقبل في طرسٍ حواك كأنني ... عليل وفي تقبيل شكلك لي البرء
أنا المرء بالآثار ممن هويته ... قنعت وقد يخطي إذا قنع المرء
أأحمد لا يهوى الفؤاد سواك ما ... تقدم عود الشيء في الرتبة البدء

قافية الباء

بنفسي مثال النعل نعل محمدٍ ... نبي الهدى المخصوص بالقرب والحب
بدا لي فكأن البدر جلَّى بنوره ... غياهب أشجان تراكمن في قلبي
بكت مقلتي شوقًا للابسها وهل ... بِمُطْفِئهِ نار الأسى دمعة الصبِ
بعثت به شخصًا من الأنس ميتًا ... فبشرني بالقرب من على قربِ
بموطئها قد شرف الله تربة ... عليها مشت فالتبر يحسد للتربِ

قافية التاء

تلوت وقد أبصرت مثلًا لنعل من ... تميز بالوصف الشريف وبالنعتِ
ترفعت من نعلٍ بأخمص مرسلٍ ... قَد أنقذ من شر الطواغيت والجبتِ
تقدست الأرض التي قد مشى بها ... عليها فصار الفوق يغبط للتحتِ
تمنيت لو أَني ظفرت بتربها ... فمرغت فيه الخذ للحين والوقتِ

تـمـنـى صـبٍ عـاشـق دنـفٍ جـوٍ ... مـعـنـى كـئـيـبٍ حـفـظ ذي الـسـبـتِ

قافية الثاء

ثمار الأماني قد جنى الطرف إذا رأى ... مثال نعال المصطفى من أولى البعث

ثـراهـا ومـن أعـلاه طـاب نـسـيـمـه ... وما أنا في هذي اليمين بذي حنث

ثـريـا الـسـمـا ودت لـتـنـقـل يـا ثـرى ... إليك فلم تنقل فها هي ذو بث

ثوابت به يا طيب فهو كمسكة يفوق ... شذاها المسك في الطيب والمكث

ثـوابـي يـا مـن شـرفـت بـلـبـاسـه ... على مدحها تأمين خوفي من البعثِ

قافية الجيم

جـلـلـت أيـا نـعـلًا بـأخـمـص سـيـدٍ ... إلـى حـضـرة الـقـدس الـعـلـيـة عـارجِ

جـبـلـت عـلـى حـبٍّ لـه فـمـتـى بـدا ... مـن آثـاره شـيء تـثـور لـواعـجـي

جنى الأنف منها زهر روض إذا انبرى ... نـسـيـم شـذاه بَـدَّ عـرف الـنـوافـجِ

جـبـرت بـه صـدعًـا جـنـاه الـهـوى ومـا ... شُـغِـفْـتُ بـغـنـج الـخـود ذات الـدمـالـجِ

جـزى الله عـنـي الـقـلـب خـيـرًا فـإنـه ... تـعـلـق بـالـهـادي لأهـدى الـمـنـاهـجِ

قافية الحاء

حـظـيـت أيـا نـعـلًا بـأخـمـص مـرسـلٍ ... قـد أنـزل رب الـعـرش فـيـه ألـم نـشـرحْ

حـلـلـت بـسـاط الـقـدس حـيـن عـروجـه ... ليوضح في المسرى له الله ما أوضحْ

حـلـفـت: لأرض قـد وطـئـت تـرابـهـا ... لـكـالـمـسـك مـفـضـوضًـا أمـا إنَّـه أفـوحْ

حـلـلـت نـطـاق الـكـتـم لـمـا رأيـتـهـا ... فصرح من حبي اللسان بما صرحْ

حبيبي الرسول المصطفى ومن أجله ... مـدحـت لـنـعـلـيـه وحـق بـأن أمـدحْ

قافية الخاء

خـذيـهـا أيـا نـفـسـي الـمـشـوقـة كـلـمـا ... سـرى نـفـس مـمـن هـواي بـه بـذخْ

خـمـيـلـة شـعـرٍ أودعـت مـدح نـعـل مـن ... بـشـرعـتـه كـل الـشـرائـع قـد نـسـخْ

خـضـبـت نـصـال الـشـيـب لـمـا رأيـتـهـا ... بـدمـع مـحـب عـقـد كـتـمـانـه فـسـخْ

خـطـاهـا أفـاد الأرض زهـوا فـأنـفـهـا ... على قمم الشهب المنيفة قد شمخْ

خصصت أيا نعلًا بأجلى مزية   تبين لمن في العلم أخمصه رسخْ

قافية الدال

دع الطرف يسرح في رياضٍ تزينت   بمدح نعالِ المصطفى الرسول أحمدا
دعا فمشى فوق السماء فلم يطأ   بها موضعًا إلّا وأصبح مسجدا
دنا فتدلى قاب قوسين إذ دنا   فأوحى الذي أوحى إليه من الهدى
دنوَّ حبيب من حبيبٍ لأجله   لآدم أملاك السموات أسجدا
درى فضله من في السماء فكلهم   يرون وجيه المرسلين محمدا

قافية الذال

ذر الأنف يستنشق خمائل روضة   تبذُّ نسيم المسك أنفاسها بذا
ذكرت به نعلًا لأكرم مرسلٍ   براه الذي أعلاه في رسله فذا
ذرور ثراها المسك فاق فإن تسل   عَن أذكى من المسك الفتيق شذًا فذا
ذكاء تمنت أنْ تكون سحاءةً   تعي مدحها أو جلدة مثلها تجذى
ذوو حبه التذّوا برؤيتها كما   بثوب ابن يعقوب أبوه قد التذّا

قافية الراء

رأيت مثال النعل الذي به   إلى حضرة القدس العلية قد أسرى
رعى الله منها نعل أي كريمة   برجلٍ علت فخرًا على قمة النسرِ
روى أنه نوى وقد رام خلعها   وماء الحيا في وجنتيه معًا يجري
رسولي لا تخلع تشرف بوطنها   بساطي يا معنى وجودي يا سري
رفعت لواء المكرمات جميعها   بيمنى العلا والناس في قبضة الذر

قافية الزاي، وهي متجانسة

زفير اشتياقي إذ بدا نعل معتقي   مخاطبتي كتمي وعزمي قد عزا
زكت شفة قد قبلت نعل سيدٍ   به عالم الإنسان أجمعه عزا
زعيم به هنا السرور لنا وفي   مصائبنا العظمى المصاب به عزى
زهو سماه ظلمة الشرك قد جلا   ولولاه كنا نعبد اللات والعزى

زمــانــي لا أنــفــك لاثــمــهــا أرى هــوان هــوانــا يــا أخــلاءنــا عــزا

قافية الطاء

طوت بعض ما من وحشةٍ نشر النوى نعال خطاها في المكارم لا تخطا
طفقت أنادي حين لاحت لناظري وزند الهوى بالسقط قد وصل السقطا
طب انعم تنزه يا فؤادي فهذه نعال الذي جاوزت في حبه الفرطا
طبعنا على حب له فمتى يلح لنا أثر ننثر مِن أدمعنا سمطا
طلعنا نجومًا في هواه فأفقنا قَد أخلد عنه النجم للأرض وانحطا

قافية الظاء

ظللت أنادي إذ رأيت نعال من قد أنقذني والحمد الله لظى
ظهرت لنا في شكل بدرٍ فلم نكن لبدر الدجى من بعد ذاك لنلحظا
ظمئنا فكنت الماء مقلوب همزةٍ نقعت وميم جيء في إثرها بظا
ظهيري رسول الله أنت لحظتني بهذي وفي الأخرى ترى لمن الخطا
ظلالكم من كل سوء حفظنني وما كنت لولا الفضل منكم لأحفظا

قافية الكاف

كرمت أيا نعلا لأكرم مرسلٍ به وهو وسطى السلك قد ختم السلكُ
كأنك في عيني نافجة خلت وأبقى بها للأنف من نفحة المسكُ
كتمت فلما لحت لي باح محجري بسر معنى قلبه بالنوى يشكو
كفاني كفاني أنْ بدا أثر لمن به من إسار الشرك قلبي مفتكُ
كريم كرام الرسل أحمدها الذي بتوحيده الإشراك أودى فلا شركُ

قافية اللام

لمثلك يا نعلا بلابسها نعلو ويا طيب فيهي كلما قلت يا نعل
لثمت وما أبغيه باللثم لا ولا سواه فما قصدي النعال بل الرجل
لها الله من رجلٍ مشت بأجل من شأى رسل الله الكرام وأن جلوا
لنا قد أتى منا عزيز عليه ما عنتنا رؤوف راحم ما له مثل

لعمري لولاه لما سحت السما ... ولا دحيت أرض ولا برئ الكل

قافية الميم

وفيها وفيما بعدها لزوم زائد لم يهد الله إليه ولا ألهم، إلّا بعد الفراغ من نظم ما تقدم، وإلّا فجناب مجده فسيح، ولسان الألكن في مدحه عليه السلام فصيح، وصلى الله على سيدنا محمّد النبي المليح:

امددت عيني مشوق به على ... صبابته ألا تحول قَد أقسما

مشيت به فوق السماء فكلما ... وطئت سماء فأخرت فوقها سما

موكئه قسمين فيها مناسكًا ... فأسمى الذي أدناه ذاك المقسما

محمّد أبكيت الثرى إذ عرجتم ... وعدتم إليه بعد ذا فتبسما

قافية النون

نظرتُ بعيني هائم القلب مدنفٍ ... شجى أبي إلّا البكا طرفه خدنا

نعال حبيب مصطفى من حبيبه ... دنا فتدلى قاب قوسين أو أدنى

نبي جميع الرسل ساد حليً كما ... بمبعثه فينا جميع الورى سدنا

نجيّ لرب العرش ناجٍ محبه ... غدا من لظى ذات اللظى وارثًا عدنا

نزعنا إلى التوحيد من ملك شركنا ... ولولاه ما والله لله وحدنا

قافية الصاد

صبرت فلما لاح لي مثل نعل من ... حلاه تعالت أنْ تعد وتستقصى

صببت دموعًا من جفونٍ كأنها ... عزالي سحابٍ نؤيها قد أقصى

صبوت هوى السيد العلم الذي ... قد أسرى به ليلًا إلى المسجد الأقصى

صميمٌ صميم الجلة القمر الذي ... وقاه الإله المحق والكسف والنقصا

صراطي هواه للجان وإنَّه ... يقي ووقى جيد اعتصامي به الوقصا

قافية الضاد

ضلوعي لا تهدأ ودمعي لا يرقا ... وليس سوى حاليهما منهما أرضى

ضلالي هدى في ذا الهوى عند أهله ... ذوي النظر الأقوى ذوي السنن الأرضى

ضعوا قلبي الشاكي بحيث نعالهم فآثارهم تشفي أحبتها المرضى
ضممت نعال المصطفى رجله التي بها شرّف الله السموات والأرضا
ضعوها كمثلي فوق أرؤسكم فقد زكا من رأى تعظيم مقدارها فرضا

قافية العين

على وجنتي فاضت دموعي فصرحت بسر فؤادٍ بالتكتم أولعا
عشى بدت نعل الحبيب كأنها هلال بآفاق القلوب قد اطلعا
عجبت لقلبي أنْ رآها ولم يطر ويخرق شغافًا قد حواه وأضلعا
عراه خيال فاستقر ولم يطر إليها وشيكًا بالأمر طولعا
عسى من أراني نعله أو مثلها يريني ضريحًا للمكارم مطلعا

قافية الغين

غليلي لا يطفى وشجوي لا يفنى ودمعي لغير المزن ليس بمنبغى
غسلت به رين الجوى وهو نكتة بخدي وقلت اسفك نجيعك واصبغ
غداة بدت نعل لأكرم مرسلٍ رفيع شفيعٍ ذي مكارم سُبَّغ
غيور شكور راحمٍ متلطفٍ كريمٍ منيلٍ واسع السيب مسبغ
غلامك يا مولاي يبغي شفاعةً وذلك أمر ما لغيرك ينبغى

قافية الفاء

فؤادي لا تشك البعاد فهذه نعالهم فاستشفين بها تشفى
فمن قبلها مثل نعل كريمةٍ بتقبيلها يشفى سقام من أستشفى
فليت يميني والشمال ومسمعي قلبن شفاهًا تحسن اللثم والرشفا
فأطفئ بالتقبيل والرشف جمرة قَد أسعلها شوق على الهلك بي أشفى
فأقسم يا نعل الحبيب لأنت من شراب بطون النحل للمشتكى أشفى

قافية القاف

قُلَيْبِي لا تقنط فهذي نعال من علقت به من قبل مرتبة العلقْ
قد أبصرتها في أفق كأنها هلال منير للعيون قد ائتلقْ

قفا في السنى آثاره القمر الذي ... للابسه كالبردة انشق وانفلقْ
قرأت حذار العين لما رأيته ... بأفق يميني طالعًا سورة الفلق
قست مهجة قد أبصرته وما جرت ... مسابقةً شهب المدامع في طلق

قافية السين

سموت أيا نعل الرسول برجله ... على قمم الشهبان والبدر والشمسِ
سرى ليلة المعراج فوق براقه ... ليسمى أقطار السموات باللمسِ
سماء به فلتفخري بدر سؤددٍ ... سليم السنى يضحى منيرًا اليوم للأمسِ
سلمنا بفضل الله لكننا وهم ... حروف وما الإطباق في الحروف كالهمسِ

انتهى ما ألفيته من هذه القطع ولم أجد تكملة الحروف؛ وقد كمل ما بقى على نمطها، وألفيت أيضًا بخط هذا الشيخ محمّد بن الفرج السبتي، رحمه الله عدة قصائد ومقاطع في هذا الغرض، منها قوله رحمه الله:

قافية الواو

وقفت على تمثال نعل كريمةٍ ... فأحييت برسم الشوق مني ما أقوى
وأيقنت أني إذ ظفرت بلثمها ... تمسكت في أخرى بالسبب الأقوى
وناديتها يا نعل عذرًا فإنني ... على مدح بعض في أخرى بالسبب الأقوى
وطئت ربوعا للهدى ومغانيها ... علاها على الرضوان أُسِّس والتقوى
ولامست رجلا لو يطاوع ترابها ... ثريا السما شددت لتقبيله حقوا

قافية لام الألف

لآلى نعال المجد أهلا بها أهلا ... وشكرا لأن كنا لتقبيلها أهلا
لآلى رسول مسها جلد رجله ... بها ورد فخر يَعْذُبُ العل والنهلا
لآدم هذا الفخر أيضًا لأننا ... بذي النعل أنقذنا الغواية والجهلا
لأقسم يا من لام فيها عليك لا ... تعذب بتعذلي ومهلا به مهلا
لأني غريق في هوى حبها وكم ... محب يرى التعذيب في حبها سهلا

قافية الياء

يود لساني أن يؤدي مدحها ... نعالا فيعينني علاها وحرف اليا

يـؤدي ولـكـن لا يـطـيـق كـمـالـهـا ... ولـو أنَّـه يـفـعـل بـيـان الـورى فـلـيـا
يـمـيـنـا وإنـي فـي يـمـيـنـي صـادق ... لـحليتها صيغت من الجنة العليا
يـواقـيـت سـر الـكـون والـجـود رصـت ... بـهـا وطأة التقديس فانتظمت حليا
يـواري عـلا رجـل عـلـى مـن مـشـى بـهـا ... سـلام مـدى مـا ازداد مـن ربـه ولـيـا

ومما قال ابن الأبار البلنسي من وصف لنعل النبي (ﷺ):

سـجـال لـعـمـري أدمـع وسـجـال ... لأن عَـنَّ مـن نـعـل الـرسـول مـثـال
وهل يملك العينين ومن مثلها سوى ... خـلـى عـداه عـن هـداه ضـلال

ومنها:

مـثـال إلـى نـعـل الـمـطـهـر يـعـتـزى ... فـإعـزازه لـلـحُـسْـيـن مـنـال
أقـبـلـه شـوقـا تـمـلـكـنـي لـمـا ... حـكـى وشـهـيـدي لـو يـفـوه قـبـال
وإلـى اشـتـراك فـي الـتـزام شـراكـه ... وحـسـبـي مـنـه عـصـمـة ومـنـال
ومـعـقـده مـمـا عـقـدت بـه الـهـوى ... فـلا صـح عـزمـي إن صـحـا لـي بـال
مـرادي مـن تـمـريـغ شـيـبـي عـلـيـه أن ... تـسـح مـن الـرحـمـن عـلـي سـجـال
ومـن وضـعـه فـي حـر وجـهـي ورفـعـه ... لـقـمـة رأسـي أن يـعـز مـآل
فـأحـظـى بـحـظـى مـن جـوار مـحـمّـد ... وهـل بـعـد تـنـويـل الـجـوار نـوال

وله في ذلك المعنى أيضًا رَحِمَهُ اللهُ:

لـمثال نعل المصطفى أصفى الهوى ... وأرى الـسـلـو خـطـيـئـة لـن تـغـفـرا
وإذا أصـافـحـه وأمـسـح لائـمـا ... أركـانـه فـمـعـززا ومـوقـرا
سـرى اعـتـزازي فـي جـهـار تـذلـلـي ... لـجـلالـه أَثَـرًا بـقـلـبـي أَثَّـراَ
إن شـاقـنـي ذاك الـمـثـال فـطـالـمـا ... شاق المحب الطيف يطرق في الكرى
لـي أسـوة فـي الـعـاشـقـيـن وقـصـدهـم ... لـثـم الـطـلـول لأهـلـهـن تـذكـرا
وبـكـائـهـم تـلـك الـمـعـاهـد ضـلـة ... تـحـت الـظـلام عـلـى الـغـرام تـوفـرا
أفـلا أمـرغ فـيـه شـيـبـي راشـدا ... وأريـق دمـعـي وسـطـه مـسـتـبـصـرا
ثـقـة بـإثـرائـي مـن الـخـيـرات فـي ... شغفي بنعلي خير من وطئَ الثرى

وقال في التشوق إلى الضريح الشريف على الدفين به صلوات الله وسلامه:

لو عَنَّ لي عون من المقدار	لهجرت للدار الكريمة داري
وحللت أطيب طينة من طيبة	جارا لمن أوصى بحفظ الجار
حيث استبان الحق للأبصار	لما استثار حفائظ الأنصار
يا زائرين القبر قبر محمّد	بشرى لكم بالسبق في الزوار
أوضعتم لنجاتكم فوضعتم	ما آدكم من فادح الأوزار
فوزوا بسبقكم وفوهوا بالذي	حملتكم شوقا إلى المختار

❊ ❊ ❊

الخاتمة

بعد الانتهاء مما وفقنا الله سبحانه وتعالى لبحثه في إحياء ليلة المولد النبوي الشريف في المغرب الإسلامي، توصلنا إلى بعض النتائج.

1- تأثر الغرب الإسلامي بإحياء ليلة المولد النبوي الشريف لأهميتها في نفوس المسلمين، ولما تم في المشرق الإسلامي وعند الفاطميين.

2- أغاض الفقهاء في الغرب الإسلامي ما شاهدوه من اهتمام الأهالي بإحياء ليالي النصارى، مثل الاحتفال بمولد السيد المسيح عليه السلام، والسنة الميلادية الجديدة، واحتفال الملوك السحرة، إذ حرموها على المسلمين واعتبروها من البدع المنكرة والتي حرمها الإسلام.

3- ساهم إحياء ليلة المولد النبوي الشريف في تقوية أواصر المحبة والاحترام والتقرب إلى الله تعالى، وإحياء السيرة النبوية الشريفة من خلال قراءة القرآن، واستلهام العبر من الأحاديث النبوية الشريفة التي أكدت على التعايش والتسامح والتقارب بين المسلمين، وهو الهدف الأساسي من إحياء ليلة المولد الشريف.

4- للمولد النبوي الشريف قيم ومعانٍ إنسانية، إذ كان للفقير واليتيم والمسكين نصيب مما يوزع في هذه الذكرى العطرة مستلهمين معاني قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان: 8-9].

5- ما ورد من القصائد الشعرية بهذه المناسبة الشريفة فيها من البيان والبلاغة التي تؤكد على محبة المسلمين لنبيهم الكريم، وتمجيد دوره في توحيد المسلمين، إذ كان مثالًا للعدو ونبراسًا للأخلاق، وسراجًا ينير الدرب لكل الطوائف، إذ أكد على احترام الديانات الأخرى والتقارب بينها.

6- ومن خلال دراستنا لاحظنا أن القصائد والموشحات والنثر والمدائح النبوية كانت موسوعات كثيرة تضمنت أبياتًا كثيرة اختصرنا منها الكثير بما هو يخص المولد الشريف.

7- حرص الفقهاء على تصنيف مؤلفات مختلفة العناوين عن المولد النبوي الشريف لا تزال مخطوطة في خزائن الغرب الإسلامي، وقد استفدنا منها، إذ نقلنا منها نصوصًا تنير للباحث عن حرص أهل الغرب والأندلس في إحياء الليلة المباركة.

8- لقد كان لشخصية الرسول محمد (ﷺ) بصمات واضحة على الفكر الغربي، إذ أعجبوا بهذه الشخصية الفذة ومجدوها بعبارات بلاغية المعنى توحي بمدى تأثر هؤلاء الكتاب الغربيون، والذي أسلم منهم العدد الكبير في أسبانيا.

9- فلسفة المولد الشريف أدت خدمات إنسانية، وأصلحت مجتمعات وعملت على المصاهرة مع الديانات الأخرى، لما لها من بصمات حضارية إذ ينم التألف والتقارب وتقديم الصدقات لكافة أبناء المجتمع في هذه المناسبة الدينية العطرة التي قورنت حسب رأي الفقيه (ابن مرزوق التلمساني) بليال عظيمة مثل ليلة القدر المباركة.

10- ما قدمناه من جهد متواضع نعتبره من الواجبات التي يقوم بها المسلم تجاه المعلم الأول للإنسانية نبينا محمد (ﷺ)، وهي دروس وعبر لإصلاح النفوس، وزرع روح المودة والتآلف والتآخي، وحب الغير لإرساء الأمن والاستقرار في ربوع بلادنا الإسلامية والله من وراء القصد.

المؤلف

أ.د. محمد بشر حسن راضي العامري

1436هـ - 2014م

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الإهداء 5

المقدمة 7

الفصل الأول: مراسيم احتفال أهل المغرب بالمولد النبوي الشريف 11

المبحث الأول: أهمية إقامة ليلة المولد النبوي الشريف في الغرب الإسلامي ... 11

استنتاجات 23

المبحث الثاني: آراء الفقهاء المغاربة في إحياء ليلة المولد الشريف 25

المبحث الثالث: محاربة البدع عند العامة في ليلة المولد النبوي الشريف 39

الفصل الثاني: أثر الصحابة والتابعون والعلماء الفقهاء في إحياء ليلة المولد الشريف في المصادر المخطوطة والمطبوعة في الغرب الإسلامي 43

المبحث الأول: الصحابة العابرون إلى المغرب الإسلامي 43

المبحث الثاني: التابعون الذين اهتموا بالمولد النبوي الشريف 50

المبحث الثالث: المخطوطات التي تناولت ذكر المولد النبوي الشريف 53

المبحث الرابع: ما قيل في الرسول (ﷺ) من العلماء الباحثين الغربيين 71

الفصل الثالث: الإنشاد ليلة المولد النبوي الشريف 79

المبحث الأول: القصائد الشعرية في ليلة المولد النبوي الشريف 79

المبحث الثاني: النثر الأدبي في ليلة المولد النبوي الشريف 93

المبحث الثالث: المدائح والمواعظ في ليلة المولد النبوي الشريف 98

المبحث الرابع: الرسائل والموشحات 109

مخمسات من المدائح النبوية 118

المبحث الخامس: المعاني والقيم الدينية في وصف نعل الرسول ﷺ 145

قافية الهمزة 147

قافية الباء 147

قافية التاء 147

قافية الثاء 148
قافية الجيم 148
قافية الحاء 148
قافية الخاء 148
قافية الدال 149
قافية الذال 149
قافية الراء 149
قافية الزاي، وهي متجانسة 149
قافية الطاء 150
قافية الظاء 150
قافية الكاف 150
قافية اللام 150
قافية الميم 151
قافية النون 151
قافية الصاد 151
قافية الضاد 151
قافية العين 152
قافية الغين 152
قافية الفاء 152
قافية القاف 152
قافية السين 153
قافية الواو 153
قافية لام الألف 153
قافية الياء 153
الخاتمة 156
فهرس المحتويات 159